من حكم الشريعة وأسرارها

بقلم

حامد بن محمد العبادي

عفا الله عنه وعن والديه والمسلمين

أجمعين

عُني بطبعه

خادم العلم

عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

طبع على نفقة

الشؤون الدينية بدولة قطر

١٤٣

مِن حِكَم الشَّرِيعَة وأسرارها

مِن حِكَم الشريعة وأسرارها

بقلم

حامد بن محمد العبّادي

عفا الله عنه وعن والديه والمسلمين
أجمعين

عُني بطبعه
خادم العلم
عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

طبع على نفقة
الشؤون الدينيّة بدولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم على عباده الذين اصطفى ، أما بعد فلقد منَّ الله علي بطبع هذا الكتيب في عام سبع وثمانين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية الموافق لثمان وستين وتسعمائة بعد الألف من الميلاد.

وقد نفذت تلك الطبعة ولم تستغرق عاما واحدا لكثرة الطلب والرغبة فيه فلم أجد بداً من التعرض والأخذ في الأسباب لإعادة طبعه. هذا وانك أيها القارىء الكريم ستجد في هذه الطبعة شيئاً من الزيادة وشيئاً من الحذف وما ذاك الا لأني تسرعت في طبعه الطبعة الاولى خوفا من اختلاس بعض

الأيدي له حيث كانت قد امتدت اليه قبل طبعه ولكن جهود بعض المسؤولين المحسنين حال دون ذلك فمعذرة ثم معذرة والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبيه الأمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المؤلف

تحريرا في ٢٧ / ١٢ / ١٣٩٣هـ

تقريظ

قرأت بعضا من هذا المؤلف على شيخنا واستاذنا الجليل سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد الرئيس العـام للاشراف الديني بالمسجد الحرام فتفضل حفظه الله بالكلمة التالية:

تقريظ لهذا الكتاب.

التاريخ ١ / ٩ / ١٣٨٧ هـ

الحمد لله وحده

وبعد. فقد قرأ عليّ اخونا الشيخ حامد محمد العبادى بعضا من مؤلفه «من حكم الشريعة وأسرارها» فما سمعت منه فهو مفيد فى موضوعه متضمن لدقائق الحكم البديعة والأسرار الهامة بارك الله فيه وفي علومه ورزق الجميع حسن القصد وصلاح العمل انه على كل شيء قدير.

عبد الله بن محمد بن حميد

الرئيس العام للاشراف الديني بالمسجد الحرام

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فية وصلاة الله وسلامه على من خصه بالرسالة وأيده بالمعجزات الباهرة وأرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجه وسلكوا سبيله وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد التمس مني أخونا الفاضل الشيخ /حامد بن محمد العبّادي لإعادة طبع كتابه المسمى (من حكم الشريعة وأسرارها) وبعد مطالعتي للكتاب ومراجعتي لشوادره وفوائده ألفيته كتاباً مفيداً نافعاً لأمثالنا ممن يلتمس معرفة حكم الشريعة وأسرارها، وقد أخذنا عدداً كبيراً من هذا الكتاب في طبعته الأولى وخدمنا توزيعة على راغبي مطالعته، وكان بحمد الله الراغبون له كثير من اهل العلم وطلاب المعرفة.

لذلك استخرت الله تعالى في إعادة طبعة ونشره وإن اشترك مع المؤلف فيما يمنحني الله به من الأجر والثواب. وعند العزم على قيامنا بإعادة طبعة أرسل الأخ الفاضل المؤلف نسخة أودع بها بعض التعديلات والزيادات فحرصنا على إلحاق ما أبدع وأكمل ليتم النفع والفائدة

وأخونا الشيخ / حامد بن محمد العبّادي من أفاضل رجال العلم، وقد أختاره الله تعالى لمجاورة بيته الحرام منذ أعوام عديدة ونعده من المراقبين

للمشاريع والتعاليم اللازمة في الحرم المكي، وهو مع ذلك يزاول ما إستطاع نشر العلم بالتعليم والتأليف، ويكفيك إنه قد تعرض في كتابه هذا لجميع الواجبات والفرائض والمسنونات وذكر الحكمة الإلهية في تشريع الله تعالى لهذه الشرائع الدينية الإسلامية فشكر الله له سعيه، وبارك في جهوده ووفقنا وإياه لصالح الأعمال والأقوال، ونفع الله بعلمه عباده المؤمنين.

وختاما نبتهل الى الله بالدعاء الصالح للأمة الإسلامية، ونسأله جل ذكره بأن يجعل هذا العام ١٤٠١ هـ عام خير وعز ونصر وتوفيق للإسلام، إذ أنه أول عام من القرن الخامس عشر الهجري ونتضرع إلى الله تعالى بأن يعلي الحق وينصر دينه ويحفظ كتابه بإقامة شرائعة وواجباته وإن يهلك كل معتد أثيم وينصر الإسلام والمسلمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

غرة محرم الحرام ١٤٠١هـ
قطر/ الدوحة

خادم العلم
عبد الله إبراهيم الإنصاري

الافتتاح:

الحمد لله على نعمة الاسلام واعظم بها من نعمة جاء بها سيد الأنام محمد عليه من ربه افضل صلاة والسلام. جاء بها وحيا من الله تعالى مؤيداً بالمعجزات والبراهين العظام التي من أجلها واعظمها القرآن الذي لا ريب فيه ولا اعوجاج اذ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه جاء بهذا الدين القويم والعالم في ظلمات من الجهل والكفر والظلم والجور والطغيان. فازاح تلك الحجب المظلمة عن القلوب وانار البصائر بعد العمى. وبدد شمل الوثنية وفك القيود عن القلوب المقفلة والتي كانت مقيدة بالعقائد الفاسدة والخرافات والاضاليل ورسم

لبني الانسان الصراط السوي الذي يسير عليه فَيَصِلُ إلى السعادة الأبدية. كان الناسُ في غفلة وجهل بالخالق جل وعلا تائهين في بوادي الاوهام والضلالة والزيغ والجهالة فكشف هذا الدين العظيم الذي جاء به سيد الانبياء وخاتم المرسلين عن تلك القلوب ذلك الغشاء الكثيف وخلصها من تلك القيود التي هي من الوضع البشري المقيت واعطى للعقل حريته في النظر الى بديع صنع الخالق احكم الحاكمين وفي فهم ما انزله الله على رسوله الامين من الاسرار والحكم على مقتضى ما رسمه وشرعه في هذا الدين القويم بحيث من تعداه فقد غوى وضل عن سواء السبيل.

هدانا الله جميعا الى ما فيه الخير والسعادة الابدية في الدنيا والاخرة. وحفظ امتنا من دعاة الفرقة والزيغ والعدوان وفقهنا في اسرار شرعه المطهر وما كلفنا به من الفرائض وما ندب اليه من السنن والمستحبات. وما اودع فيها من الاسرار والحكم الجامعة لما فيه صلاح امري الدنيا والدين. هذا وقد

كنت في اشتياق عظيم لجمع شيء من الحكم والاسرار في الدين الاسلامي الحنيف. وبعد البحث الطويل وطرق لأبواب المكتبات العظيمة بمكة المكرمة، والمدينة المنورة وفتح للكتب الموضوعة في الاحكام والمؤلفة في هذا الباب كان لي الشرف العظيم ان اجمع نبذاً متفرقة ايدي سبأ.

في المئات من الكتب العظيمة التي الفها اسلافنا العظماء اهل العلم والحكمة والمعرفة فجزاهم الله عنا وعن جميع المسلمين افضل ما جازى محسنا عن احسانه.

واني لأرجو من الله تعالى ثم من أخي القارىء الكريم ان يطلع على هذا الكتيب ويعذرني فيما يظهر له فيه من اخطاء ما اليها قصدت، ان اريد الا الاصلاح ما استطعت. وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وهو حسبي ونعم الوكيل.

المؤلف

الدين الاسلامي

الدين: شغلت هذه الكلمة الكثير من العلماء والكتاب في قديم الزمان وحديثه فقد قال بعضهم انه - أي الدين. مجموعة واجبات على الانسان نحو ربه ونحو نفسه واخوانه من بني الانسان، ويذكر آخرون انه وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم الى الصلاح في دنياهم وآخرتهم ويطلق على ملة كل نبي. وقد اختصه الله بالاسلام إذ ابطل به سائر الاديان لقوله تعالى:

(إنَّ الدين عند الله الاسلام). وقوله تعالى: (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين).

والدين الاسلامي باحكامه وتشريعاته درجات ومراتب. وكل مرتبة اساس تتفرع عنه فروع من الواجب على المسلم ان يأخذ بها جميعا دون التفرقة بين فرع وآخر ليتم بذلك اسلامه.

مراتبه:

ومراتب الدين الاسلامي ثلاث: اسلام - وايمان - واحسان.

كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور عند «مسلم» من رواية امير المؤمنين ابي حفص «عمر بن الخطاب» رضي الله تعالى عنه؛ انه قال:

(بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وقال: يا محمد اخبرني عن الاسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الاسلام أن تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فاخبرني عن الايمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت.. قال: فاخبرني عن الاحسان. قال: ان

تعبد الله كأنك تراه فإن ام تكن تراه فإنه يراك..... الحديث.

وقد اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف الاعمال الظاهرة والباطنة اعتقادية وعملية. وحوى علوم الشريعة كلها بل الدين الاسلامي بأكمله راجع اليه لما تضمنه من جمعه للعلوم ومراتب دين الاسلام.

المرتبة الاولى

الاسلام:

ومعناه: الاذعان والانقياد والطاعة لله بديع السموات والارض وقيومها خالق الانسان من العدم الى الوجود على أحسن هيئة وصورة «لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم» والذي رزقه من صنوف النعم ما لا يحصره قلم كاتب ولا حساب حاسب: «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها» والمسخر له في بره وبحره وجوه. «الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخَّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخَّر لكم الانهار وسخَّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخَّر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه» الآية.

فكان من واجب هذا الانسان ان يشكر ربه وخالقه

مسدي المعروف والنعم وذلك بإخلاص العبادة له وعدم الاشراك به في حقه لأي كائن مخلوق.

دعائم الاسلام:

لكل مرتبة من مراتب الدين الاسلامي دعائم واركان ومحور تدور عليه احكامها[1] فأركان الاسلام وعمدة التي يقوم ايمان المرء عليها ويثبت، خمسة كبناء الفسطاط تماما وهي متلازمة لا ينفك بعضها عن الآخر كما هي اعتقادية وعملية لا يكفي في التمسك بها على انفراد والا انهار ذلك البناء وانحطت قوائمه وتصدعت اركانه.

الركن الأول:

وأول دعائم الاسلام واركانه الشهادتان، شهادة ان لا اله الا الله وشهادة ان محمدا رسول الله.

فالاولى هي الفاصلة بين الكفر والاسلام والواقعة حدا بين الشرك والايمان وهو اول ما يجب ان يبشر ويدعى اليه من تعاليم الاسلام كما قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ لمّا بعثه الى اليمن داعيا ومعلما.

---

(١) لم نتطرق الى ذكر بقية مراتب الدين الاسلامي تفصيلا اكتفاءً بالحديث السابق حديث جبريل عليه السلام ولأن المراد شرح الإسلام وأركانه وتوضيح حكمه وأسراره.

فليكن اول ما تدعوهم اليه « شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله » الحديث، لهذا فإن المرء لا يكون مسلما حقا الا بالنطق بها مع فهم مدلولها والعمل بمقتضاها والتزام بقية دعائم الإسلام لأنها له كالمفتاح ولا بد لكل مفتاح من أسنان فأسنانه هنا بقية أركان الإسلام. ولأنها تضمنا عناصر الاسلام الثلاثة معرفة العبد ربه عز وجل، معرفة الدين الاسلامي، معرفة نبي الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام.

معنى الشهادتين:

معنى شهادة ان لااله الا الله، الاقرار والاعتراف لله بالتوحيد وافراده وحده بالعبادة والتبرؤ من كل ما يعبد من دون الله من المخلوقين فكل المعبودات باطلة الا المعبود الحق وهو الله تعالى الكريم الذي خلق هذا الانسان من عدم ثم سوّاه فعدَّله وفي احسن صورة وهيئة ركبَّه ووهبه من صنوف العلوم ما لم يكن يعلم.

والثانية: شَطْرُ الايمان ومفتاح الاسلام وعنوان الفوز ورمز السعادة فهي من لوازم كلمة (لا اله الا الله) ولا تقبل هذه من صاحبها ما لم تقترن بتلك، ولكن لا بدْ مع النطق

بها من التصديق الجازم والعمل بمقتضاها وذلك بان تنفي ما نفته «لا اله الا الله» قولا وعملا واعتقادا وتثبت ما أَثْبَتَتْهُ قولا وعملا واعتقادا كما ان المقرَّ بشهادة «ان محمدا رسول الله» لا ينال الفوز ولا يستحق احترام الاسلام الا بالعمل بمقتضاها وذلك بان تثبت للرسول ﷺ شرف الرسالة وفضل ارسال الله له وتلتزم طاعته وتسلك طريقته وتبذل ما وسعك في نصر امته امة الاجابة والدين وان تحيا وتموت على ملته وسنته اذ هذا من لزوم معنى الشهادة (ان محمدا رسول الله) كما ان معناها الاقرار والاعتراف للرسول ﷺ انه عبد الله ورسوله الى الثقلين الانس والجن كما قال تعالى: «قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا» وقوله تعالى: «وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا» ومن لازم الاقرار برسالته ﷺ وطاعته في كل ما يأمر به واجتناب كل ما ينهى عنه وان لا يتعبد المرء الا بعبادة مشروعة ثابتة عنه ﷺ بقوله او فعله او تقريره فلا يبتدع او يستحسن في الدين شيئا لم يرد لقوله ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أَمرنا فهو رَدَّ».

هذا هو الايمان الصحيح برسالة ذلك الرسول العظيم ﷺ وتلك هي المحبة الصادقة من ذلك المؤمن الصادق فإن

للمحبة مظاهر شتى تتجلى فيها واضحة جلية ومن اعظمها طاعة المحبوب والعمل بما يأمر به واجتناب ما ينهي عنه. لهذا لما ادعى اناس محبة الله طولبوا بالبرهان والدليل على ذلك باتباع الرسول وطاعته «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله».

كما تظاهر فريق آخر بمحبة النبي ﷺ وهم غارقون في بحر البدع ومجاهرته بالمعاصي ومحادَّتِهِ بالمخالفة فقد ألقم الشاعر الحكيم هذا النوع من الناس حجرا بقوله:

تعصي الإلـه وانـت تظهر حبـه
هـذا لعمري في القيـاس بديـع
لو كـان حبـك صادقا لأطعتـه
ان المحـب لمن يحـب مطيـع

فطاعة المحبوب من علامات صدق المحب واخلاصه كما ان مخالفته وعصيانه من علامات كذبه وخداعه فمعنى محبة الرسول ﷺ هي التفاني في اتباع شرعه واحياء سنته والعمل على نشر دعوته بالقلم واللسان والاركان الى جانب العقيدة الخالصة التي تقرر إفراد الله بالعبادة والاخلاص له في كل عمل وطاعة فليست محبته ﷺ في اقامة الحفلات

لميلاده والتغني بشمائله والتمدح بفضائله بما في ذلك الغلو المنهي عنه، فإن ذلك ليس من الدين في شيء حيث لم يقرره ديننا الحنيف ولم يفعله خير الامة من رعيلنا الأول ولو كان خيرا لسارعوا اليه فإنهم اشد مبادرة وحبا لفعله ﷺ -رضي الله عنهم وارضاهم -

الركن الثاني:

الركن الثاني من أركان الاسلام واول تشريع تعبدي بعد الشهادتين إقامة الصلاة لانها عماد الدين ونور اليقين وشفاء صدور المؤمنين وملاك كل الامور فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتبعد النفس الأَمَّارة بالسوء عن الشرور والتي من طبيعتها الميل اليها متى أُدِّيت على الوجه المطلوب شرعا بحيث لا يختل شيء من شروطها ولا ينقص ركن من أركانها ولا شيء من واجباتها.

من شروط الصلاة:

ومن شروطها: الطهارة في ثلاث - البدن - الثياب - المكان، لأنها مفتاحها، فطهارة البدن يشمل طهارته من الحدث والنجس، ومن الحكمة في ذلك انه لما كانت الصلاة خدمة الرب وتعظيمه جل وعلا كان من

المعقول والمعلوم قيام الخادم بين يدي سيده ومولاه ببدن طاهر وثياب طاهرة ومكان طاهر ابلغ في التعظيم واكمل في الخدمة من القيام بحال لا تخلو من الاوساخ والاردان والروائح الكريهة لتتحقق الزينة المطلوبة في قوله تعالى:

« خذوا زينتكم عند كل مسجد ». وتبرز النظافة فيكون اقرب الى التعظيم واكمل في الخدمة ولأن الصلاة عبارة عن مؤتمر يومي مصغر ومحفل من المحافل الدينية يجتمع فيه المسلمون للبحث في مشاكلهم والنظر في شؤونهم الدينية والدنيوية والتعرف على ضعيفهم ومساعدة فقيرهم ومواساة محتاجهم فكان الأَجْدر بالمسلم ان يكون لابسا احسن ثيابه وانظفها متطهرا من جميع الاردان والاوساخ الحسية والمعنوية كي يتودد الى اخوانه في مؤتمرهم متزاحمين متكاتفين جنبا الى جنب وحتى لا يتضرر الملائكة والمصلون اذا وقفوا صفوفا من وسخ الثياب وكريه الرائحة... من أجل ذلك شرعت الطهارة والنظافة وسن الدين الاسلامي الغسل ليوم الجمعة والعيدين والحج وكل اجتماع مشروع يجتمع فيه المسلمون، فاذا لم يكن نظيفا طيب الرائحة تقززت منه النفوس وتأذى اخوانه المصلون، وكان ازاءهم ممقوتا مذموما، هذه بعض من حكم عموم الطهارة عقلا؛ اما

الْحِكَمُ الشرعية المأثورة في الطهارة والنظافة فهي فوق التعداد والحصر ويكفي ان نورد شيئا منها هاهنا تتميما للفائدة.

قال الله تعالى: «فيه رجال يُحِبّون ان يَتَطَهّروا والله يُحِبُّ الْمُطّهِّرين» وقال تعالى: «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد لِيُطَهِّرَكُمْ» وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة واحمد والدارمي: «مفتاح الصلاة الطهور» وعن ابن ابي المليح عن ابيه قال: قال رسول الله ﷺ: -

«لا صلاة بغير طهور» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة. ومعنى هذا ان النظافة والطهارة بنوعيها الحسي والمعنوي لا تكمل ولا يؤجر عليها المتصف بها الا بشرط طهارة الباطن وخلو القلب من درن الْكِبْرِ والغطرسة والحسد والعجب والْخُيَلاء وجميع الصفات المفسدة للاخلاق فيكمل بذلك نصف إيمانه ولا يبعد هذا من قوله ﷺ:

«الطّهور شَطْرُ الايمان» رواه مسلم وغيره.

من حكمة الطهارة بالماء

لما كان الماء مُزيلا للاقذار والاوساخ ومُذْهبا لعين

النجاسة واثرها بما في ذلك الرائحة الكريهة التي تؤذي الانسان عندما تختلط بالهواء وتدخل في سائر البدن بواسطة مسام الجسم فتضره وتخل بصحته، لهذا قرر الدين الاسلامي التطهر بالماء واشترط له شروطا منها ان لا ينتقل الماء عن حالته الاصلية وهي الرقة والسيلان فاذا انتقل من الرقة الى الخثورة لم يكن صالحا للتطهير كما إذا خالطه شيء من النجاسات السائلة والجامدة صار نجسا، والماء النجس لا يزيل مثله حُكْما ولا حسا، وكذلك فيما اذا خالطه شيء طاهر لخروجه عن خلقته الاصلية كما هو مبسط في كتب الفقه ثم في الطهارة بالماء من المساعدة للتيقظ والانتباه من الكسل والغفلة ما لا يخفى على ذي لب. كما في مشروعية رشه على المغمى عليه والوضوء عند ثورة الغضب. لحديث: « ان الغضب من الشيطان فاذا غضب احدكم فليتوضأ ».

وقال في اعلام الموقعين في (ج ١ ص ٣٩٧): فان الله سبحانه وتعالى جعل من الماء كل شيء حي وخلقنا من التراب فلنا مادتان.. الماء والتراب فجعل منهما نشأتنا وأقواتنا وبهما تطهرنا وتعبدنا، فالتراب أصل ما خلق منه الناس،والماء حياة كل شيء وهما الاصل في الطبائع التي ركب الله عليهما هذا العالم وجعل قوامه بهما وكان اصل ما

يقع به تطهير الاشياء من الادناس والاقذار هو الماء في الامر المعتاد فلم يجز العدول عنه الا في حال العدم والعذر بمرض او نحوه وكان النقل الى شقيقه واخيه التراب اولى من غيره وان لوث ظاهرا فانه يطهر باطنا ثم يقوي طهارة الباطن فيزيل دنس الظاهر او يخففه وهذا امر يشهده من له بصر نافذ بحقائق الاعمال وارتباط الظاهر بالباطن وتأثر كل منهما بالآخر وانفصاله عنه - اهـ.

من حكمة الطهارة بالتراب عند تعذر الماء

فقد علمت من الباب قبله بعض الحكم التي اوردها ابن القيم رحمه الله تعالى في اعلام الموقعين. واليك بيان طرف منها ايضا فقد قال رحمه الله في (ج ٢ ص ١٥٥):

عقد الله سبحانه وتعالى الإخاء بين الماء والتراب قدرا وشرعا ،وخلق منهما آدم وذريته فكانا أبوين اثنين لأبوينا واولادهما ،وجعل منهما حياة كل حي واخرج منهما اقوات الدواب والناس والانعام وكانا اعم الاشياء وجودا واسهلها تناولا وكان تعفير الوجه بالتراب لله وحده من احب الاشياء اليه ا هـ.

وقال القنوجي في كتابه - محاسن الاسلام: «فمن

لطف الله ورحمته بعباده انه كلما ضاق امر العبد اتسع له في موضع آخر ليكون له فرجا ومخرجا ،فهنا اذا لم يقدر المرء على استعمال الماء او لم يجده شرع له التيمم بالتراب لئلا ينقطع من القرب الى الله على كل حال وفي اي مكان ا هـ .

ثم في التطهر بالتراب دون سائر الجمادات الاخرى، لكونه لا يخلو منه مكان ولانه العنصر الذي هو اصل الانسان كما تقدم وفيه اذلال النفس للواحد الاحد بمس التراب الذي هو اذل شيء واخسه بوجهه الذي هو اشرف عضو من الانسان ،وفيه شرف هذه الامة برفع الحرج والمشقة عنها من قبلها من الامم السالفة حيث لم يرخص الشارع الحكيم لهم ذلك واختص به امة الاسلام تكريما لنبيها ﷺ. كما في الحديث عنه ﷺ: «أُعطيت خمسا لم يُعْطَهُنَّ نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيُّما رجل ادركته الصلاة فَلْيُصَلِّ، واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وبعثت الى الناس عامة وكان يُبْعثُ النبي الى قومه خاصة، واعطيت الشفاعة » كما في الصحيحين وغيرهما.

من حكمة كون التَّيَمُّم في عضوين

واما كونه في عضوين فقد قال في اعلام الموقعين من (ج ١ ص ٣٩٨):

فانه في غاية الموافقة والقياس والحكمة فان وضع التراب على الرؤوس مكروه في العادات وانما يفعل عند المصائب والنوائب. والرِّجل محل ملابسة التراب في اغلب الاحوال. وفي تتريب الوجه من الخضوع والتعظيم لله والذل له والانكسار ما هو من أحب العبادات إليه وانفعها للعبد ولذلك يستحب للساجد ان يُتَرِّب وجهه لله وان لا يقصد وقاية وجهه من التراب كما قال بعض الصحابة لمن رآه قد سجد وجعل بينه وبين التراب وقاية فقال: «ترب وجهك» وهذا المعنى لا يوجد في تتريب الرجلين. ا هـ.

من حكمة كون تيمم الجنب كتيمم المحدث

واما كون تيمم الجنب كتيمم المحدث، فلما سقط مسح الرأس والرجلين بالتراب عن الحدث الاصغر مسح البدن كله بالتراب عنه بطريق الأَوْلى، اذ في ذلك من المشقة والحرج والعسر ما يناقض رخصة التيمم ويدخل اكرم

المخلوقات على الله في شبه البهائم اذا تمرغ في التراب كما في كتاب اعلام الموقعين (ج ٢ ص ٨٨).

فسبحان الحكيم الذي اتقن كل شيء حكمة وصنعا فانظر اخي وتأمل في هذه الفوائد العظيمة والحكم البليغة لهذا الدين السمح الحنيف.

من حكمة غسل الأعضاء المخصومة في الوضوء

ان بين الوضوء والغسل بعض تشابه معنوي وتباين نوعي. وجه الشبه هو الطهارة من الادران والنظافة من الاوساخ المعنوية والحسية واما التباين فهو غسل عموم الجسم في الاغتسال دون الوضوء ١ هـ. (من حكمة التشريع بتصرف). واحسن افعال المرء المثول بين يدي سيده وخالقه والمتفضل عليه في جميع احواله طاهرا من كل دنس يلحقه حسا او معنى.

فاستعداداً لهذه العبادة وهي: الصلاة، وتهيئة للذهن لها وللتخلص من شواغل الحياة شرع الوضوء وامرنا الدين الاسلامي بغسل هذه الاعضاء المخصوصة فلو تركنا وعقولنا ووكلنا الى طباعنا لغسلنا كل البدن في الوضوء اذ هذه العبادة تقوم بِكُلّ البدن لكن الله تعالى المعبود الكريم

الرحيم الودود مَنَّ علينا فامر بغسل بعض البدن وعفا عن الباقي واقام غسل الاعضاء الاربعة مقام جميع البدن القائم بالطبائـــع الاربـــع وهي: الحرارة - والـــبرودة - والرطوبة - واليبوسة. ثم من لطف الله تعالى امر بغسل ما ظهر دون ما بطن تيسيرا على العباد. ١ هـ. (من محاسن الاسلام).

غسل الكفين:

فغسل الكفين الى الكوعين لكثرة استعمالها في الملامسة والمصافحة والاخذ والعطاء وللاعتماد عليها في القيام والقعود وما اشبه ذلك وليذهب ما علق بها من الذنوب والخطايا لانها آلة للبطش والقوة كما في الحديث: «اليدان زناهما البطش» لا سيما عند القيام من النوم لحديث ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «اذا استيقظ احدكم من نومه فلا يغمس يده في اناء حتى يغسلها ثلاثا فانه لا يدري اين باتت يده» رواه الجماعة.

المضمضة:

واما المضمضة: فلكون الفم قرارا للابخرة المتصاعدة من الجوف، ولخروج بعض الروائح الكريهة من بقايا الطعام الذي

يكون متخلفا بين الاسنان وليطعم ذوق الماء فيما إذ كان على حالته الاصلية ام لا) وبالنسبة للحكم المعنوية الشرعية للمضمضة فهي لازالة الرائحة الكريهة المنتنة الناتجة من الغيبة والنميمة كما قال تعالى: (ايحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فَكَرِهْتُمُوه) وكما في الحديث من ان المغتاب يفسد صومه ويذهب اجره بل ويفطر حقيقة اذا كان صائما. عند بعض الصحابة والتابعين كما في حديث المرأتين في مسند الامام أحمد وغيره ومن حكم المضمضة ايضا تهيئة الفم وطهارته ونظافته لمناجاة المولى جل وعلا في الصلاة. ومثلها السواك حكما وفائدة كما قال ﷺ: (السواك مَطْهَرَة للفم مرضاة للرب).

الاستنشاق:

أما الإستنشاق: فهو لازالة ما بالأَنف من الاوساخ والآثار الكريهة وما يدخله فيه الهواء من الاتربة وليشم رائحة الماء فيما اذا كان صالحا للطهارة ام لا؟

غسل الوجه:

ثم يأتي بعد ذلك غسل الوجه لفائدة جليلة وحكمة بليغة وذلك لازالة ما عليه من آثار العرق والاتربة التي قد

تضر بالعينين والرأس والاذنين ولكي يكون نظيفا اذ اول ما يقع عليه النظر عند الملاقات والمقابلات ولمواجهة الرحمات حال الصلوات وهو ساجد ولانه مجمع المحاسن من الانسان كالسجدة في الصلاة فهي مجمع محاسنها لهذا جازى المولى الساجد بالقرب منه. كما قال تعالى: «واسجد واقترب» ومن حكم غسله ايضا: انه لما كان فيه العينان وهما الجارحتان اللتان ربما تنظران الى ما هو محرم ومحظور النظر اليه وغسله ليكون ذلك كفارة لما ارتكبه من محرمات كما في حديث ابي هريرة وغيره الآتي.

غسل اليدين الى المرفقين:

وغسل اليدين الى المرفقين: فلكونهما مكشوفتين في الغالب ومعرضتين للاوساخ ولكونهما معتمد المرء في قيامه وقعوده وليكونا نشيطتين بالغسل.

مسح جميع الرأس:

اما مسح الرأس فلأنه منبع العرق الخارج من المسام ولم يأمر الدين الاسلامي بغسله كسائر الاعضاء لما فيه من المشقة والحرج من بلل الثياب وغيره. والدين سمح ويسر لا عسر فيه فاكتفى بالمسح

مسح الاذنين:

ومسح الاذنين: لأنها من الرأس حدّاً ولازالة ما علق عليها من الاتربة التي قد تدخل فيها بواسطة الهواء فتضر بالسمع.

غسل الرجلين الى الكعبين:

اما غسل الرجلين: فلانها تتعرضان دوما للاوساخ والروائح الكريهة خصوصا من جراء لبس الاحذية ولكونها معتمد المرء في قيامه ومشيه وتنقله ولانها العضوان اللذان قد يمشي بها الانسان الى حيث يحرم المشي اليه كالذهاب الى الامكنة المحظورة ومجالس الغيبة والنميمة كما يقول الشارع ﷺ: «وزناها المشي والخطأ» فغسلها وغيرها من اعضاء الوضوء ككفارة لما ارتكب بها من الآثام والخطايا اذ وردت بذلك السنة المطهرة حيث يقول المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه ابو هريرة وعبد الله الصنابحي وغيرهما رضي الله عنهم: «اذا توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه واذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، واذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من

تحت أظفار يديه ،فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من اذينه ،فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ،ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له «رواه مالك والنسائي ومسلم؛ وفي صحيح البخاري والترمذي رحمها الله: عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء او مع آخر قطرة الماء او نحو هذا واذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب»

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «اعلام الموقعين (الجزء ٢ ص ٧٥ - ٧٨) في الحكمة من غسل اعضاء الوضوء: واما ايجابه لغسل المواضع التي لم تخرج منها الريح واسقاطه غسل الموضع الذي خرجت منه فما اوفقه للحكمة ،وما اشده مطابقة للفطرة ،فان حاصل السؤال: لم كان الوضوء في هذه الاعضاء الظاهرة دون باطن المقعدة مع ان باطن المقعدة اولى بالوضوء من الوجه واليدين والرجلين.

وهذا سؤال معكوس من قلب منكوس فان من محاسن

الشريعة ان كان الضوء في الاعضاء الظاهرة المكشوفة وكان احقها به امامها ومقدمها في الذِّكر والفعل وهو الوجه الذي نظافته ووضاءته عنوان على نظافة القلب، وبعده اليدان وهما الة البطش والتناول والاخذ فهما احق الاعضاء بالنظافة والنزاهة بعد الوجه، ولما كان الرأس مجمع الحواس واعلى البدن واشرفه كان احق بالنظافة، لكن لو شرع غسله في الوضوء لعظمت المشقة واشتدت البلية فشرع مسح جميعه وإقامة غسله تخفيفا ورحمة، كما قام المسح على الخفين مقام غسل الرجلين ولعل قائلا يقول: وما يجزي مسح الرأس والرجلين من الغسل والنظافة.. ولم يعلم هذا القائل ان امساس العضو بالماء امتثالاً لأمر الله وطاعة له وتعبداً يؤثر في نظافته وطهارته ما لا يؤثر غسله بالماء والسدر بدون هذه النية. والتحاكم في هذا الى الذوق السليم والطبع المستقيم كما ان مَعْكَ الوجه بالتراب امتثالا للآمر وطاعة وعبودية تكسبه وضاءة ونظافة وبهجة تبدو على صفحاته للناظرين، ولما كانت الرجلان تمس الارض غالبا وتباشر من الادناس ما لا تباشره بقية الاعضاء كانت احق بالغسل، ولم يوفق للفهم عن الله ورسوله من اجترأ بمسحها من غير حائل فهذا وجه اختصاص هذه الاعضاء بالوضوء من بين سائرها

من حيث المحسوس، ومن حيث المعنى: فهذه الاعضاء هي آلات الافعال التي يباشرها العبد ما يريد فعله وبها يعصي الله ويطاع، فاليد تبطش، والرجل تمشي، والعين تنظر، والاذن تسمع ،واللسان يتكلم ،فكان في غسل هذه الاعضاء امتثالا لامر الله واقامة لعبوديته ما يقتضي ازالة ما لحقها من درن المعصية ووسخها وقد اشار صاحب الشرع ﷺ الى هذا المعنى بعينه حيث قال في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن عبسة. قال: قلت: يا رسول الله حدثني عن الوضوء: قال ما منكم من رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينثر الا خرجت خطايا وجهه من اطراف لحيته مع الماء ،ثم يغسل يديه الى المرفقين الا خرجت خطايا يديه من انامله مع الماء ،ثم يمسح برأسه الا خرجت خطايا رأسه من اطراف شعره مع الماء ،ثم يغسل قدميه الى الكعبين الا خرجت خطايا رجليه من انامله مع الماء ،فان هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومَجَّدَهُ بالذي هو أهله ،او هو له اهل وفرغ قلبه لله الا انصرف من خطيئته كهيئة يوم ولدته امه. ١ هـ.

هذا وقد ذكر رحمه الله تعالى حديث ابي هريرة المروي في صحيح مسلم وحديثا آخر في مسند الامام احمد في هذا

الموضوع وقال في آخر بحثه هذا: وفيه ان مقصود المضمضة كمقصود غسل الوجه واليدين سواء وان حاجة اللسان والشفتين الى الغسل كحاجة بقية الاعضاء ،فمن انكس قلبا وافسد فطرة وابطل قياسا ممن يقول:ان غسل باطن المقعدة اولى من غسل هذه الاعضاء وأن الشارع فرق بين المتماثلين هذا الى ما في غسل هذه الأعضاء المقارن لنية التعبد لله من انشراح القلب وقوته واتساع الصدر وفرح النفس ونشاط الاعضاء فتميزت عن سائر الاعضاء بما اوجب غسلها دون غيرها وبالله التوفيق . ١ هـ وجاء في شفاء العليل قوله: (وتأمل كون الوضوء في الأطراف التي هي محل الكسب والعمل ،فجعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق. وهذه الأبواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها ومنها يدخل اليها ثم جعل في اليدين وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويعطي ثم في الرجلين اللتين بهما يَمْشي ويسعى.

ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرجا ومشقة جعل مكانه المسح وجعل ذلك مخرجا للخطايا من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره كما ثبت عن النبي ﷺ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال: (اذا توضأ

العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ،فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان تبطشها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ،حتى يخرج نقيا من الذنوب) رواه مسلم .

هذا ولو لم يكن في مصلحته وحكمته الا أنه من سيماء هذه الأمة وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الأمم ليست لأحد غيرهم ولو لم يكن فيه من المصلحة والحكمة الا أن المتوضىء يطهر يديه بالماء وقلبه بالتوبة ليستعد للدخول على ربه ومناجاته والوقوف بين يديه طاهر البدن والثوب والقلب فأي حكمة ورحمة ومصلحة فوق هذا؟ ؟ »

وقال في كشاف القناع جـ١ ص ٧١ ما نصه: والحكمة في غسل الاعضاء المذكورة في الوضوء دون غيرها ؛انها اسرع ما يتحرك من البدن للمخالفة ،فامر بغسلها ظاهرا منبها على طهارة الباطن ،ورتب غسلها على ترتيب الحركة في المخالفة فامر بغسل الوجه والفم والانف ،فابتدأ بالمضمضة لان اللسان اكثر الاعضاء واشدها حركة اذ غيره ، ربما سلم

وهو كثير العطب قليل السلامة غالبا ، ثم بالانف ليتوب عما شم به ، ثم بالوجه لما تقع منه المخالفة ، ثم بالأُذن لاجل السماع ، ثم بالرجل لاجل المشي ، ثم ارشده بعد ذلك الى تجديد الايمان بالشهادتين اهـ .

وفي الاستغفار والدعاء الوارد بعد الوضوء وبعد الصلاة يشير رحمه الله تعالى بقوله: والحكمة في ذلك ان العباد مقصرون عن القيام بحقوق الله كما ينبغي وعن ادائها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته وانما يؤدونها على قدر ما يطيقون فالعارف يعرف ان قدر الحق اعلا واجل من ذلك فهو يستحي من عمله ويستغفر من تقصيره فيه كما يستغفر غيره من ذنوبه وغفلاته . اهـ بنصه .

فمتى فرغ من غسل هذه الاعضاء المخصوصة اعني اعضاء الوضوء واقبل على الصلاة ينبغي ان يخطر بباله ان طهارةَ ظاهِرِهِ الذي هو موضع نظر الخلق ليس بأعظم اهمية من طهارة الباطن من درن العجب والكبر والحسد وجميع الاخلاق الذميمة والصفات الرذيلة ،اذن فليستح المرء من مولاه جلّت عظمته فيطهر قلبه من جميع ذلك لانه موضع نظر الرب سبحانه وتعالى كما في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه الى

النبي ﷺ: ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم.

ولا يخفى ان طهارة الباطن تكون بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة والتخلق بالاخلاق الحميدة وهذا لا يقل اهمية عن طهارة ونظافة الظاهر والله اعلم.

من حكمة المسح على الخفين والجوربين

من لطف الله ورحمته وشفقته بنا في أداء الفريضة المسح على الخفين، وهو حذاء من جلد أو غيره ساتر لمحل الغرض من الرجلين. والجوربين وهو كما قال الزركشي: غشاء من صوف يتخذ للدفء. وقال في شرح المنتهى: ولعله رسم لكل ما يلبس في الرجل على هيئة الخف من غير الجلد. ١ هـ من كشاف القناع بنصه.

وشرع المسح عليهما رخصة لعباده ورحمة بهم حيث البرد القارص وقت الشتاء. فيمسح المقيم يوما وليلة والمسافر ثلاثة أيام ولياليها، لانه يلاقي من وعثاء السفر ما لا يلاقيه المقيم. وحكمة تحديد المدة - والله أعلم - ان الرِّجلين اذا تركتا بدون غسل أكثر من ذلك حصل لها تعفن وهو اضرار بالجسم واخلال بالصحة كما لا يخفى.

من حكمة نواقض الوضوء

لما كانت الحكمة في الوضوء هي الطهارة من الأدران والنظافة من الاوساخ كان نواقضه مضادا لذلك ومنافيا للنظافة الحسية والمعنوية ولان الوضوء بعد انتقاضه يوجد نشاطا في الجسم فيؤدي الانسان الصلاة بدون كسل او فتور لتكون مقبولة حيث صدرت بإرتياح وطيب نفس وموافقة للمشروع.

١ - خروج الريح:

لقائل أن يقول: لماذا لا يغسل الموضع الذي خرج منه الريح الناقض للوضوء مع انه المحل المماس للريح وتغسل الاعضاء الاخرى التي ليس لها دخل في موضوع الناقض؟ يقال في الجواب: إن الريح الخارج من الموضع المذكور ليس له ادنى اثر في الظاهر حتى يغسل وانما كل ما في الامر انه يمر في طريقه على اوساخ تكسبه هذه الرائحة الكريهة دون سائر الارياح كالجشاء والعطاس،ولان الموضع المذكور ليس من المواضع التي يقع عليها النظر،وأن خروج الريح المذكور يحدث فتورا في الاعضاء مع وجود الرائحة الكريهة ولان خروجه من الانسان نعمة من الله اذ لولا خروجه لكان أشد

ضررا وخطرا على الانسان فخروجه منه شفاء له، لذا وجب الوضوء منه شكرا لهذه النعمة التي انعم الله بها علينا.

وللعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى كلام عجيب بهذا الصدد ينبغي بل يجب ايراده في هذه العجالة تتميما للفائدة قال رحمه الله في (ج ٢ ص ٨٨): وفرق بين الريح الخارجة من الدبر وبين الجشوة؛ فأوجب من هذه دون هذه فهذا ايضا من محاسن هذه الشريعة وكمالها كما فرق بين البلغم الخارج من الفم وبين العذرة في ذلك ومن سوى بين الريح والجشاء فهو كمن سوى بين البلغم والعذرة، والجشاء من جنس العطاس الذي هو ريح تحتبس في الدماغ ثم تطلب لها منفذا فتخرج من الخياشيم فيحدث العطاس وكذلك الجشاء ريح تحتبس فوق المعدة، فتطلب الصعود، بخلاف الريح التي تحتبس تحت المعدة ومن سوى بين الجشوة والضرطة في الوصف والحكم فهو فاسد العقل والحس. ١ هـ. بنصه رحمه الله.

من حكمة نقض الوضوء بمس الفرج ولمس المرأة بشهوة والنوم

اما بالنسبة لنقض الوضوء ولمس المرأة بشهوة والنوم..

فقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه اعلام الموقعين من (ج ٢ ص ٨٣) قوله:

« هذا من كمال الشريعة وتمام محاسنها فان مس الذكر مُذَكِّر بالوطء وهو في مظنة الانتشار غالبا، والانتشار الصادر عن اللمس في مظنة خروج المنى ولا يُشْعر به فاقيمت هذه المظنة مقام الحقيقة لخفائها وكثرة وجودها كما اقيم النوم مقام الحدث وكما اقيم لمس المرأة بشهوة مقامه ايضا.

فان قيل اذا كان لمس الذكر ناقضا للوضوء فما بالك بمس البول والغائط وكذلك لمس الانف ايضا لانه قطعة منك.

يقال في الجواب ان مس الذكر يوجب انتشار حرارة الشهوة وثورانها في البدن والوضوء يطفىء تلك الحرارة وهذا مشاهد بالحس ولم يكن الوضوء من مسه لكونه نجسا ولا لكونه مجرى النجاسة اما دعوى مساواة مس الذكر للانف فمن أكذب الدعاوي وابطل القياس. انتهى بنصه رحمه الله.

من حكمة نقض الوضوء من اكل لحم الجزور

اما حكمة نقض الوضوء من اكل لحم الجزور: فلما في الإبل من الشَّبه بالشيطنة التي يبغضها الله ورسوله كما أشار به الحديث: «ان الابل خلقت من جن وان على ذروة كل بعير شيطانا» وفي رواية لسعيد بن منصور في سننه: «ان الابل خلقت من الشياطين وان وراء كل بعير شيطانا» كما أشار بذلك شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمها الله. ولما في لحمها من شدة الدسومة والزهومة التي تكسب النشاط والقوة اللذين يورثان الغلظة والجفاء كما في الحديث الشريف ان النبي ﷺ: - قال

«الفخر والخيلاء في الفدادين اصحاب الابل والسكينة في اهل الغنم» لذلك امر بالتوضوء من اكل لحمها اذ هذا يطفىء ذلك الشبه الشيطاني وتلك القوة النارية، كما ورد النهي عن الصلاة في اعطانها والله اعلم.. هذا وللامام العلامة ابن القيم تحقيق بليغ ومفيد جدا في هذا الموضوع نورده هنا للفائدة المرجوة ان شاء الله فنقول:

قد اجاب العلامة ابن القيم رحمه الله على اعتراض من قال: (ان الوضوء من لحوم الابل على خلاف القياس لانها

لحم واللحم لا يتوضأ منه).

قال في كتابه اعلام الموقعين (ج ١ ص ٣٩٥): (ان الشارع فرق بين اللحمين، كما فرق بين المكانين، كما فرق بين الراعيين، رعاة الابل ورعاة الغنم، فامر بالصلاة على مرابض الغنم دون اعطان الابل، وامر بالتوضوء من لحوم الابل دون الغنم، كما فرق بين الربا والبيع، والمذكّى والميتة، فالقياس الذي يتضمن التسوية بين ما فرق الله بينه من ابطل القياس وافسده، ونحن لا ننكر ان في الشرّيعة ما يخالف القياس الباطل هذا مع ان الفرق بينهما ثابت في نفس الامر كما فرق بين اصحاب الابل واصحاب الغنم: فقال: (الفخر والخيلاء الفدادين اصحاب الابل والسكينة في اصحاب الغنم) وقد جاء ان على ذروة كل بعير شيطانا، وجاء انها جن وخلقت من جن ففيها قوة شيطانية والغاذي شبيه بالمغتذي ولهذا حرم كل ذي نابٍ من السباع ومخلب من الطير لانها دواب عادية، فالاعتداء بها يجعل في طبيعة القوة الشيطانية والشيطان خلق من نار والنار تُطْفأ بالماء. هكذا جاء الحديث. ونظيره الحديث الاخر:

(ان الغضب من الشيطان فاذا غضب احدكم فليتوضأ) فاذا توضأ العبد من لحوم الابل كان في وضوئه ما يطفىء

تلك القوة الشيطانية فتزول تلك المفسدة. ولهذا امرنا بالتوضؤ مما مست النار اما إيجاباً منسوخا واما استحبابا غير منسوخ ،وهذا الثاني اظهر لوجوه منها :ان النسخ لا يصار اليه الا عند تعذر الجمع بين الحديثين. ومنها ان رواة احاديث الوضوء متأخرو الاسلام كأبي هريرة ومنها :ان المعنى الذي أمرنا بالوضوء لأجله منها هو اكتسابها من القوة النارية وهي مادة الشيطان التي خلق منها والنار تطفأ بالماء وهذا المعنى موجود فيها. وقد ظهر اعتبار نظيره في الامر بالوضوء من الغضب ومنها :ان اكثر ما مع من ادعى النسخ انه ثبت في احاديث صحيحة كثيرة انه ﷺ «اكل مما مست النار ولم يتوضأ» وهذا انما يدل على عدم وجوب الوضوء لا على عدم استحبابه فلا تنافي بين امره وفعله وبالجملة فالنسخ انما يصدر اليه عند التنافي وتحقق التاريخ وكلاهما مُنْتَفٍ. وقد يكون الوضوء من مس الذكر ومن النساء من هذا الباب لما في ذلك من تحريك الشهوة فالامر بالوضوء منها على وفق القياس ،ولما كانت القوة الشيطانية في لحوم الابل لازمة كان الامر بالوضوء منها لا يعارض له من فعل ولا قول ،ولما كان في خصوص النار عارضه صح فيها الامر والترك ويدل على هذا انه فرق بينها وبين لحوم

الغنم في الوضوء وفرق بينها وبين الغنم في مواضع الصلاة فنهى عن الصلاة في اعطان الابل وأَذِن في الصلاة في مرابض الغنم. وهذا يدل على انه ليس ذلك لاجل الطهارة والنجاسة، كما انه لما أمر بالوضوء من لحوم الابل دون لحوم الغنم علم انه ليس ذلك لكونها مما مست النار. ولما كان اعطان الابل مأوى الشيطان لم تكن مواضع الصلاة كالحشوش بخلاف مباركها في السفر فان الصلاة فيها جائزة لان الشيطان هناك عارض وطرد هذا المنع من الصلاة في الحمام لانه بيت الشيطان وفي الوضوء من اللحوم الخبيثة كلحوم السباع اذا ابيحت للضرورة روايتان والوضوء منها ابلغ من الوضوء من لحوم الابل فاذا عقل المعنى لم يكن بد من تعديته ما لم يمنع منه مانع والله اعلم ا هـ . بنصه رحمه الله .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: فالتوضوء عند تحرك الشهوة من جنس التوضؤ عند الغضب وهذا مستحب لما في السنن عن النبي ﷺ انه قال: ان الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تطفأ النار بالماء.

(ان الغضب من الشيطان وان الشيطان من النار وأنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب احدكم فليتوضأ) وكذلك الشهوة

الغالبة هي من الشيطان والشيطان من النار والوضوء يطفئها فهو يطفىء حرارة الغضب والوضوء من هذا مستحب، وكذلك امره بالوضوء مما مسته النار امر لستحباب لان ما مسته النار يخالط البدن فليتوضأ فان النار تطفأ بالماء، وليس في النصوص ما يدل على انه منسوخ بل النصوص تدل على انه ليس بواجب. واستحباب الوضوء من أعدل الاقوال من قول من يوجبه وقول من يراه منسوخا وهذا احد القولين في مذهب أحمد وغيره ١٠٠ هـ (م ٢٥ ص ٢٣٨) من فتاواه رحمه الله.

من حكمة موجبات الغسل

سببه: الغسل من الجنابة سببه الانزال او المباشرة في الفرج بدونه.

حكمته: وحكمة الغسل منها لما يسببه خروج المنى من ضعف في عموم الجسم وفقدان للقوة ومن فتور وكسل لانه اي (المني) عبارة عن مادة مكونة من خلاصة الجسم ولذا تراه يتأثر الجسم بخروجه لانه يتحلل من جميع اجزاء البدن والغسل بالماء يعيد الى البدن هذه القوة المفقودة بخروج المني ويطفىء تلك الحرارة التي سببها خروجه من

جميع اجزاء الجسم وليعيد النشاط والقوة بعد الكسل والفتور.

ولقائل ان يقول: ان البول يخرج من العضو الذي يخرج منه المني فلماذا لا يجب الاغتسال لخروجه؟

قيل في الجواب: اولا - ان البول مادة دائمة الخروج بخلاف المني، والغسل منه مشقة وحرج والله تعالى لطيف بخلقه رحيم بهم ودينه يسر لا عسر.

ثانيا: ان البول عبارة عن فضلة المأكول والمشروب بخلاف المنى.

ثالثا: لا يتأثر الجسم بخروج البول كما يتأثر بخروج المنى.

وللعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بحث بليغ ومفيد جدا في هذا الموضوع يجب ايراده هنا للفائدة والتنوير.. فقد قال رحمه الله في كتابه اعلام الموقعين من (ج ٢ ص ٥٨): واما المسألة الاولى وهي ايجاب الشارع الغسل من المني دون البول فهذا من اعظم محاسن الشريعة وما اشتملت عليه من الرحمة والحكمة والمصلحة، فان المني يخرج من جميع البدن ولذا سماه الله سبحانه وتعالى «سلالة» لانه يسيل من جميع

البدن واما البول فإنما هو فضلة الطعام والشراب المستحيلة في المعدة والمثانة ،فتأثر البدن بخروج المنى اعظم من تأثره بخروج البول ،وأيضاً فإن الإغتسال من خروج المني من أنفع شيء للبدن والقلب والروح بل جميع الارواح القائمة بالبدن فإنما تقوى بالاغتسال والغسل يخلف عليه ما تحلل منه بخروج المني وهذا امر يعرف بالحس ،وايضا فان الجنابة توجد ثقلا وكسلا والغسل يحدث له نشاطا وخفة ولهذا قال ابو ذر لما اغتسل من الجنابة: «كأنما القيت عني حملا » والجملة فهذا امر يدركه كل ذي حس سليم وفطرة صحيحة ويعلم ان الاغتسال من الجنابة يجري مجرى المصالح التي تلحق بالضروريات للبدن والقلب مع ما تحدثه الجنابة من بعد القلب والروح عن الارواح الطيبة فاذا اغتسل زال ذلك البعد ولهذا قال غير واحد من الصحابة :ان العبد اذا نام عرجت روحه فإن كان طاهرا اذن لها بالسجود وان كان جنبا لم يؤذن لها ،ولهذا امر النبي ﷺ الجنب اذا نام ان يتوضأ وقد صرح افاضل الاطباء بأن الاغتسال بعد الجماع يعيد الى البدن قوته ويخلف عليه ما تحلل منه وانه انفع شيء للبدن والروح وتركه مضرة ويكفي شهادة العقل والفطرة بحسنه على ان الشارع لو شرع الاغتسال من البول

لكان ذلك اعظم حرجا ومشقة على الامة تمنعه حكمة الله ورحمته واحسانه الى خلقه ا هـ بنصه رحمه الله.

وجاء في شفاء العليل قوله: فكم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبدن،وتفريج للقلب وتنشيط للجوارح وتخفيف من احمال ما أوجبته الطبيعة والقاه عز النفس من درن المخالفات فهي منظفة للقلب والروح والبدن في غسل الجنابة من زيادة النعومة والإخلاف على البدن نظير ما تحلل منه بالجنابة ما هو من أنفع الأمور) الى أن قال رحمه الله:

(ولما كانت الشهوة تجري في جميع البدن حتى ان تحت كل شعرة شهوة سرى غسل الجنابة الى حيث سرت الشهوة كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ان تحت كل شعرة جنابة) فأمر أن يوصل الماء الى أصل كل شعرة فيبرد حرارة الشهوة فتسكن النفس وتطمئن الى ذكر الله وتلاوة كلامه والوقوف بين يديه. أ.هـ بنصه رحمه الله ص ٢٣٠

وما يقال في الرجل من هذه الحيثية يقال في المرأة بيد أنها (أي المرأة تتميز عن الرجل بالحيض).

من حكمة الغسل من الحيض:

وحكمة الغسل منه هو ما تقدم في الحكمة من الغسل بخروج المني وذلك لان الحيض مكون من جميع اجزاء بدن المرأة واغتسالها يعيد لها القوة والنشاط كما تزول الرائحة الكريهة التي تضر بجسمها وجسم زوجها الذي يجامعها لانه (أذى) كما قال تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فأعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).

من حكمة الغسل من النفاس:

اما الغسل من النفاس فلما حصل للمرأة من الضعف والفتور بعد الولادة، ولازالة الرائحة الكريهة التي تنبعث من دم الولادة، وللغسل بالماء من النفاس فائدة معنوية اخرى هي شكر الله تعالى الذي أنقذها من عظيم خطر الولادة.. والله اعلم.

وفي الحكمة من التفرقة بين بول الصبية والصبي يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «فصل: واما غسل الثوب من بول الصبي والصبية اذ لم يطعما فهذا للفقهاء فيه ثلاثة اقوال

احداها: انها يغسلان جميعا والثاني: ينضحان والثالث: التفرقة وهو الذي جاءت به السنة، وهذا من محاسن الشريعة وتمام حكمتها ومصلحتها والفرق بين الصبي والصبية من ثلاثة اوجه احدها: كثرة حمل الرجال والنساء للذكر فتعم البلوى ببوله فيشق عليه غسله الثاني: ان بوله لا ينزل في مكان واحد بل ينزل متفرقا ههنا وههنا فيشق غسل ما اصابه كله بخلاف بول الانثى الثالث: ان بول الانثى اخبث وانتن من بول الذكر سببه حرارة الذكر ورطوبة الانثى فالحرارة تخفف من نتن البول وتذيب منها ما لا يحصل مع الرطوبة وهذه مؤثرة بحسن اعتبارها في الفرق » ا هـ.

من حكمة الغسل من تغسيل الميت

اما الغسل من غسل الميت فلما يلاقيه الغاسل من رشاش الماء المتناثر من جسم الميت ولما يلامسه منه من مواضع النجاسة فينجس بذلك الغاسل فيوجب اغتساله كي يكون طاهرا نظيفا والله اعلم.

« مشروعية الاغسال المسنونة »

اما بقية الاغسال المسنونة فقد سبقت الاشارة الى الحكمة منها في اول ابواب الطهارة.

الصلاة

الصلاة هي تالية الايمان واعظم ركن في الاسلام بعد الاقرار بالشهادتين لانها عماد الدين ونور اليقين وامان المسلمين وراحة العابدين وهي الصلة الوثقى بينه تعالى وبين عباده،وبها قرار النفس الطيبة وطمأنينة الروح ورياضة الابدان حيث يقول المصطفى ﷺ لبلال رضي الله عنه حينما يأمره بالاذان: «ارحنا بالصلاة يا بلال» فاذا عرفت مما سبق من مقدمتها الموصلة اليها من طهارة وبقية لشروطها علمت فضلها وحقيقتها وادركت حكمتها من الحديث النبوي الشريف: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات فهل يبقى من درنه شيء؟) قالوا: لا يبقى من درنه شيء. رواه احمد والشيخان. فعلى هذا شبه المصلي برجل رث الثياب والبدن قد لبس جلبابا قذرا من وساخة الذنوب وقذارة المعاصي فوضوؤه وصلاته المشتملة على هذه الاقوال والافعال المخصوصة بمنزلة غسل لهذه الاقذار وتلك الاوساخ فذاك هو محو الذنوب من صحيفة المصلي، والصلاة معناها الثناء على الله تعالى بما هو اهله، وهو بناء عجيب ركب من قيام وقراءة وركوع وسجود، وكل ركن فيها بمنزلة لبنة في البناء

وملاطها التسبيح والتحميد والتهليل، كما ان قصور الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك؛ كما ان من معانيها اظهار الحاجة والذل والافتقار الى المعبود بالقول والعمل وقد فرضت ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف على خلاف في ذلك، ليذكر الله سبحانه وتعالى بها عباده المؤمنين باوامره وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من انواع المشاق والبلايا والمحن في هذه الحياة وليقوموا بشكره تعالى فيكفر عنهم الذنوب في الدنيا ويتفضل عليهم بالاجر والثواب في الدار الاخرة قال تعالى: (واقم الصلاة ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) وقال ﷺ: «اتقوا ربكم وَصَلّوا خَمْسَكُم وصوموا شهركم وأَدوا زكاة اموالكم واطيعوا اذا أمركم تدخلوا جنة ربكم» اخرجه البيهقي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه

★ ● ★

استقبال القبلة

من شروط الصلاة استقبال القبلة:

ان في استقبال الكعبة المشرفة قبلتنا أحياء وأمواتا وتوجيه الوجوه شطر المسجد الحرام حكما وفوائد جمة تضاءلت في كنهها الافهام وكلت في محاسنها الاقلام ،اذ علمها وعلم كل شيء عند ربى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى، ولم نؤت من العلم الا النزر اليسير من بحر علمه الزاخر ،وهذا لا يمنعنا من ان نذكر ما توصل الى فهمه العلماء الاعلام وخيرة الخلق من الانام، فتح الله على ايديهم وحقق بهم كل خير وانعام وجازاهم المولى احسن ما جازى. محسنا عن احسانه ،آمين.

فنقول وبالله المستعان:

ذكر العلماء رحمهم الله تعالى ان في استقبال القبلة في الصلاة إحياء لذكرى الخليل وولده اسماعيل عليهما السلام إذ هما السبب في بناء الكعبة المشرفة بعد ان كانت اثرا بعد

عين طوال السنين والاعوام، وتذكير للمسلمين بمحبة الله تعالى لرسوله الكريم محمد عليه افضل الصلاة واتم التسليم اذ هو السبب في استقبال القبلة والتوجه الى قبلة آبائه من النبيين والمرسلين بدلا من المسجد الاقصى (قد نرى تَقَلُّبَ وجهك في السماء فَلنُوَلِّينَّك قِبْلة ترضاها فَوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فَوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْره ».

كما ان في توجيه عموم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الى قبلة واحدة اشعارا بسعادتهم في الدارين حيث انهم بذلك يعلنون للدنيا باسرها انهم اخوان قد تآلفت قلوبهم واتحدت نياتهم وتوجهوا جميعا الى نحو جهة واحدة جهة الكعبة المشرفة وان بعدت اماكنهم وتفرقت شرقا وغربا وشمالا وجنوبا الا انها هي نقطة دائرة اتحادهم التي تجتمع حولها قلوبهم من اطراف البلاد الشاسعة واللغات المتباينة ،وهي نعمة كبرى من نعم الله علينا ففي استقبالها اشعار باتحاد وجهة الصلاة عند المسلمين واتحاد كلمتهم.

وليس المقصود من استقبالها عبادتها بل المقصود بذلك هو الله جل وعلا لأن الدين الاسلامى يحكم بالكفر على من يقصد بتوجُّهِهِ غير الله فيما لا يقدر عليه غيره

من حكمة الاخلاص والخشوع في الصلاة

ثم ان لكل صورة روحا اذ لا قيمة لشبح بدونها وروح الصلاة الاخلاص والخشوع فسبحان من تفرد بخلق الاشباح والارواح وأمر العباد بالعبادة واحيائها بروح الاخلاص والخشوع اذ هما سبب قبول الانسان وسعادته الابدية في الدنيا والاخرة، والخشوع هو اطمئنان القلب وصفاؤه من تعلقات الاغيار متوجها بقلبه وقالبه الى الله تعالى الخالق القهار ،وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تحدث عنه ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه) اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقد كان علي ابن ابى طالب رضي الله عنه اذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلوَّن وجهه فقيل: مالك يا امير المؤمنين فيقول: جاء وقت الامانة، عَرَضَهَا الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وَحَمَلْتُهَا.

ويروى عن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقال له: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وكان

سعيد التنوخي رضي الله عنه اذا صلى لم تنقطع الدموع عن خديه ولحيته، وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة: فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما (ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه) هذا بعض ما كان من امر القوم في خشوعهم عند اداء هذه الفريضة التي هي مفتاح باب الرحمة والسعادة الابدية فَهَلاّ نلحق بهم ونكون من اتباعهم لنحشر في زمرتهم ويتحقق لنا الفلاح في الدنيا والعقبى ذلك الفلاح الموعود في قوله تعالى:

« قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ».

من حكمة مشروعية الاذان

وقبل شروع المسلم في الصلاة ينادى لها في بيوت الله التي « أذِنَ الله ان تُرفع ويُذكر فيها اسمه يُسَبِّح له فيها بالغدوِّ والآصال رجالٌ لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة. يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار » تلك هي مساجد الله التي حث الدين الاسلامي على تشييدها وتعظيمها وعمارتها بذكر الله اذ هي من اعظم

الشعائر عند الله تعالى: (ومن يُعَظِّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) ينادى لها في ذلك المكان الطاهر لحكمة عظيمة وفائدة جليلة وذلك لما كان المرء من دأبه مزاولة الاعمال المختلفة والإشتغال بتعاطى اسباب التكسب وهذا يشغله غالبا وينسيه دخول وقت الصلاة فتفوته صلاة الجماعة التي هي من اقوى أواصر الالفة والمحبة والتوادد بين المجتمع الاسلامى العظيم كما سنوضح بيان فضلها في موضعه. ان شاء الله

فقد شرع الاذان لإعلام دخول اوقات الصلاة وهو من خصائص هذه الأمة لما في مسند الامام احمد وصحيحي البخاري ومسلم وفي سنن النسائي والترمذي وابن ماجة وابن حبان وصحح الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فَيَتَحَيَّنُونَ الصلاة وليس ينادي بها احد فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم: اتخذوا قرنا مثل قرن اليهود فقال عمر أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا بلال قم فناد بالصلاة) الحديث.. فهو دعوة خير حتى لا تفوت المسلم هذه النعمة الكبرى وهو بالإضافة الى هذا اظهار لشعائر الاسلام

وبيان لعظمة هذا الدين الحنيف. هذا وقد اتفق العلماء على استحباب الترسل والترتيل في الاذان وان يكون المؤذن أمينا صيتا من غير تصنع ولا تنطع حتى لا يكون كالالحان المنهي عنها كما هو عليه الحال في بعض البلاد الاسلامية، وفّق الله حكوماتها والمسؤولين من رجال العلم والدين بالعمل على التنبيه لهذه المسألة ليكون الأذان وفق ما جاء به الدين واقره سيد المرسلين ﷺ.

من حكمة اوقات الصلاة

ثبتت فريضة الصلاة في هذه الاوقات المخصوصة: الصبح - الظهر - العصر - المغرب - العشاء - بالكتاب العزيز في قوله تعالى: «ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا» وقوله تعالى: «اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا» وبالسنة المطهرة في قوله ﷺ من حديث ابن عباس وابي هريرة وغيرهما رضي الله عنهم عند احمد وابى داود والبيهقي والحاكم وابن حبان والترمذي وابن عبد البر بسند صحيح ان النبي ﷺ قال: (أَمَّني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين فصلى الظهر في الاولى منها حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء

مثله لوقت العصر بالامس ،ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثله ،ثم صلى المغرب لوقته الاول ،ثم صلى العشاء الاخرة حين ذهب ثلث الليل ،ثم صلى الصبح حين اسفرت الارض ثم التفت اليَّ جبريل فقال: يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين »

اذا علمت ذلك فاعلم ان الدين الاسلامى لم يجعل هذه المواقيت الزمانية للصلاة عبثا وانما شرعها لحكم عظيمة وفوائد جليلة اذ قد سبق لك ان قلنا ان الصلاة عبارة عن مؤتمر يومي مصغر في جملة من المؤتمرات الاسلامية كيوم الجمعة والعيدين والحج.

فتكرار الصلاة بهذا النوع وعلى هذا المنوال وفي تلك الاوقات المخصوصة بمنزلة الدواء الذي يتكرر اخذه كلما خيف من صولة الداء والمرض.

وقت الصبح:

فإن الانسان عندما يقوم من نومه الليلي مبكرا وقد أخذ قسطا كبيرا من النوم والراحة بعد الكد والكدح في طلب المعاش وقرع لابواب الرزق يقوم ليشكر الله ربه وخالقه الذي احياه من الموتة الصغرى وعافاه من الاذى

والاخطار في هذا الجزء من الوقت الذي يتعرض فيه الشخص لما يؤذيه ويلهيه لولا العناية الربانية التي تحرسه من ذلك، وهذه نعمة كبرى ومنة عظمى يعجز الانسان عن اداء شكرها. يقوم بعد نومه العميق وسباته الطويل وغيبوبته عن اخوانه المؤمنين ليتفقد احوالهم فردا فردا وليواسي محتاجهم ويزور مريضهم كعضو من امة وصفها ربها بالخير والهدى والصلاح كما وصفها بالاخوة المطلقة: «انما المؤمنون اخوة» وكما وصفها نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام بقوله: (مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

ويطيب لي هنا ان اذكر ما عليه اهل نجد بما سمعته من اهل العلم والصلاح من نظام العد والتفقد بعد بعض الصلوات وهذا لا شك يمثل ما كان في زمن النبوة من التفقد والسؤال ممن حضر عمن غاب عن الصلاة في المسجد جماعة لمواساة المحتاج وزيارة المريض وتعليم الجاهل والاخذ على يد السفيه وأَطْرِ المجرم على الحق أَطْراً ليرتدع هو ومن على شاكلته ففي سنن النسائي وأبي داود وابن ماجة عن أُبيّ بن كعب قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوما الصبح فقال:

(اشاهد فلان) قالوا: لا قال: «اشاهد فلان» قالوا لا... الحديث[1].

وقت الظهر:

ثم يأتي بعده وقت الظهر وهو الوقت الذي يعود اليه المرء من مكتسبه وطرقٍ لابواب الرزق، يأتي كي يشكر ربه على ما منَّ عليه من نعمة الصحة والسعة والرخاء وليتفقد اخوانه بعد غيابه عنهم وليحضر مؤتمرهم فيؤدي معهم صلاة الظهر شكرا لرازقه الذي تفضل عليه بنعمة الرزق والعافية ونعمة الاجتماع بأقاربه واخوانه والبحث في مشاكلهم الدينيـــة والدنيويـة ثم يعود الى منزلـه ليقوم بالاشتغال بما يهمه من شئونه وشئون اسرته وليتناول معهم ما تيسر له من غذاء يعينه على طاعة ربه وخالقه فلا يأتى وقت العصر الا وقد اخذ قسطا وافراً من الراحة في هذه القيلولة التي حث عليها الشارع الحكيم كما روى: واستعينوا بالقيلولة على قيام الليل.

---

(١) وتمامه:

(قال ان هاتين الصلاتين اثقل الصلوات على المنافقين ولو تعلمون ما فيها لاتيتموها ولو حبوا على الركب وان الصف الاول على مثل صف الملائكة ولو علمتم ما فضيلته لابتدرتموه وان صلاة الرجل مع الرجل ازكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين ازكى من صلاته مع الرجل وما كثر فهو احب الى الله تعالى) اهـ سنن ابي داود في فضل الجماعة.

وقت العصر:

فيحضر مع اخوانه صلاة العصر افضل الصلوات المكتوبة اذ هي الصلاة الوسطى التي اكد بالمحافظة عليها القرآن الكريم: « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » يحضر المسلم ليؤديها جماعة شكرا لله تعالى على ما منَّ عليه من الرزق والصحة والاجتماع مع اخوانه المسلمين.

وقت المغرب:

يأتي وقت المغرب وقد غاب المسلم عن اخوانه المؤمنين فترة من الوقت فيعود بالاجتماع بهم مرة رابعة لمؤتمرهم المسائي الاول للبحث فيما يحتاجه كل فرد منهم وليقوم بشكر الله على ان وفقه لاتمام نهاره في طاعته والحصول على ما يحتاجه واسرته واخوانه من الرزق الحلال فيؤدي صلاة المغرب شكرا لله تعالى على ذلك.

وقت العشاء:

ثم يأتي الخامس من المؤتمرات وهو المؤتمر المسائي الثاني وقت العشاء فيؤدي الفريضة مع اخوانه شكرا لله على ما منَّ عليه من نعمة الصحة ونعمة السعة ونعمة الاجتماع باخوانه وتوديعهم الى الصباح الباكر اول المؤتمرات اليومية ان شاء

الله هذا بعض من الحكم البليغة والفوائد العظيمة في تفريق هذه الاوقات المخصوصة على هذا المنوال وفقنا الله الى شكر نعمه ووقانا شر نقمه وفَقَّهنا في اسرار شرعه المطهر ورزقنا العمل به انه جواد كريم رؤوف رحيم.

من حكمة مشروعية صلاة الجماعة

حكمها:

شرعت صلاة الجماعة وجوبا حضرا وسفرا لقوله تعالى: (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة)... الآية ولما في السَّنَّة المطهرة من حديث الاعمى الذي جاء الى النبي ﷺ يشتكى بُعْدَ داره من المسجد مع كثرة الهوام والعراقيل التي تعترضه في طريقه الى المسجد وليس له قائد يقوده اليه فلم يرخص له النبي ﷺ لما علم بسماعه النداء فاذا كان الامر بها في حالة الخوف ومقابلة العدو والقتال وعدم ترخيص النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصحابى الذي ابدى له اعذاره الشرعية عن الاتيان اليها فكيف يجوز تركها في حالة الأمن والأمان والطمأنينة والاستقرار مع نعمة البصر والصحة واكتمال القوى، بالاضافة الى الوعيد الشديد الوارد في الاحاديث الصحيحة لتاركها والمتخلف عنها لغير عذر يبيح

له ذلك، منها ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: (والذي نفسي بيده لقد هممت بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا يصلى بالناس ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار) متفق عليه.

من الحكة في مشروعيتها:

هي ان صلاة المنفرد فيها معنى الانفراد وهو نقيض الاجتماع والاتحاد وكما عرفت مما تقدم من ان الصلاة عبارة عن مؤتمر يومي ولما ورد عن النبي ﷺ (انما يأخذ الذئب من الغنم القاصية).

والمعنى الذي يشير اليه الحديث الشريف ان اعداء الاسلام من شياطين الانس والجن يتربصون بالمسلمين الدوائر ويبذلون كل ما وسعهم في سبيل تفرقتهم وتفككهم وعدم ترابطهم ذلك الترابط الوثيق الذي امر المولى جل وعلا اهل الاسلام بالاتحاد والاعتصام في قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

فمن اجل ذلك شرعت الجماعة ومن اجل التآلف والتوادد والاتحاد واجتماع المسلمين في مكان واحد مستقبلين

هذه القبلة التي في استقبالها كل معنى الوحدة والاتحاد ليحصل التعارف والتوادد والتآخى وما هو سبب في تأليف القلوب الذي فيه سعادة الدنيا والاخرة حيث يقف المصلون صفوفا كالبنيان المرصوص لا فارق بين غنيهم وفقيرهم ولا مميز بينهم سوى التقوى والعمل الصالح.

وهذه هي حقيقة المساواة التي هي من قواعد الدين لا ما تترنم بها الامم الاخرى المتمدينة. وقال في كشاف القناع: شرع لهذه الامة ببركة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم الاجتماع للعبادة في أوقات معلومة. فمنها ما هو في اليوم والليلة كالمكتوبات، ومنها ما هو في الاسبوع وهو صلاة الجمعة، ومنها ما هو في السنة متكرر وهو صلاة العيدين لجماعة كل بلد ومنها ما هو عام في السنة وهو الوقوف بعرفة لاجل التواصل والتوادد وعدم التقاطع اهـ.

من حكمة هيئة الصلاة

من حكمة القيام:

يقف المصلي امام مولاه وخالقه في اليوم والليلة خمس مرات خاضعا خاشعا ذليلا مطرحا اعدائه: النفس والهوى والشيطان تحت قدمه، منصرفا بقلبه وقالبه الى المعبود الحق

الذي لا تغيب عنه عظمته وهيبته وجلاله في ساعات يومه كلها يقف ليتلو أشرف أذكار صلاته وهو القرآن الكريم في أشرف أحواله وهي هيئة القيام التي قد انتصب فيها قائما على أحسن هيئة تعظيما لمن له عنت الوجوه وخضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة، قاهر فوق عباده، ناظر اليهم، عالم بما تكن صدورهم.

الضم:

يمثل قائما صفة المتضرع المتملق المسكين الضعيف واضعا يده اليمنى على يده اليسرى اشارة منه الى كف يده عن جميع المكاسب والاشتغال بما ينافى خدمة ربه وخالقه عز وجل، مظهرا بذلك عجزه وضعفه فلا قوة ولا حول ولا أبدَ ولا حيلة له الا به، تعالت أسماؤه وجلت عظمته اذ يشير المصلى بوصفه هذا الى أنه ليس له التنقل ولا التحول من بابه تعالى الى باب غيره.

من حكمة تكبيرة الاحرام:

فيبدأ بتعظيم الله الذي يصغر كل شيء عند ذكره عز وجل اشارة منه الى تحريم ما كان له حلالا قبل التكبير ولهذا سميت تكبيرة الاحرام.

من حكمة البسملة:

ثم يثني بالبسملة اشارة منه الى الاستعانة باسم من يؤدي له هذا الفرض قياما بشكره تعالى على توفيقه الهداية بالشروع في اداء هذه الفريضة.

من حكمة قراءة الفاتحة:

فيحمد الله ربه ورب كل مخلوق في هذا الوجود ذا الرحمة العامة بخلقه في الدنيا والرحمة الخاصة بالمؤمنين في الدار الاخرة. ثم يمجده ويثني عليه تعالى ليسأله القرب منه ويستعين به في امور دنياه واخرته ويسأله الهداية والدلالة الى الطريق الحق الذي لا اعوجاج فيه ولا التباس ويجنبه مخاطره المنحرفة والمضلة طرق اهل الغواية والضلال ليكون له نبراسا ونورا يبصر به الحق كما تبصر الشمس في رابعة النهار والقمر في ليلة التمام. وهذا معنى الحديث القدسى المروى عن ابن عباس رضي الله عنهما:

عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل انه قال: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين فاذا قال: الحمد لله رب العالمين قال: حمدنى عبدى واذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: اثنى علي عبدي واذا قال: مالك يوم الدين قال

تعالى: مجدَّني عبدي واذا قال: اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل).

حكمة الركوع:

ثم ينحنى راكعا مشيرا بذلك الى ان الدوام على حال هو من المحال،وانه لما كانت العنق هي الدالة على صفة الكمال والعجبِ والخيلاء عند بعض الناس كان للمصلى ان يطأطئها اظهارا للخضوع واحتراما لمن تطأطأ له الرؤوس وتخضع له الرقاب. وقال العلاقة ابن القيم رحمه الله في كتابه شفاء العليل: ثم يرجع حانيا له ظهره خضوعا لعظمته وتذللا لعزته واستكانة لجبروته، مقابلا تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأطأ رأسه وطوى ظهره وربُّه فوقه يرى خضوعه وذله ويسمع كلامه فهو ركن تعظيم وإجلال كما قال ﷺ: (أما الركوع فعظموا فيه الرب)

حكمة الرفع منه:

ثم يرفع رأسه عائداً الى أكمل حديثه جاعلا شعار هذا الركن حمد الله والثناء عليه وتحميده قائلا «سمع الله لمن حمده» أي سماع قبول واجابة فهو يعود الى حاله من القيام

حامداً لربه مثنياً عليه بأكمل محاوره وأجمعها وأعمها لانه أهل الثناء والمجد ،معترفا بعبوديته شاهداً بتوحيده وانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وأنه لا ينفع أصحاب الجدود والأموال والحظوظ جدودهم عنه ولو عظمت.

السجود:

ثم يسجد والسجود غاية التواضع والخشوع اذ هو استعمال مجمع المحاسن للخالق العظيم ملصقا هذه المحاسن بادنى خلق الله واوضعه عليه وهو التراب الذي تحت الاقدام من الانام والانعام ،مشيرا الى ان هذا هو نهاية تواضعه فلا جرم جوزى هذا المصلى بمنتهى الأمل وهو القرب ممن له العمل مؤتمرا بامره (واسجد واقترب) لانه اذا داوم على السجود في الصلوات الخمس كان دائماً قريباً من ربه ،كما أن الانسان بإقترابه من العظماء وأصحاب الجاه يكتسب رفعة شأن وعظم جاه فكيف بجاهه ورفعة قدره لو اقترب من خالقه جل وعلا فقد ورد قوله صلى الله عليه وسلم.

« ما من عبد يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة » رواه الترمذي عن ثوبان مولى رسول

الله ﷺ كما روى مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابي ربيعة بن كعب الاسلمى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «سل فقلت أسألك مرافقتك في الجنة فقال: او غير ذلك؟ فقلت: هو ذاك قال: فَأَعِنّي على نفسك بكثرة السجود»

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله: ثم يعود الى تكبيره ويخر له تعالى ساجدا على اشرف ما فيه وهو الوجه فيعفره في التراب ذلا بين يديه ومسكنة وانكساراً وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتى اطراف الانامل ورؤس الاصابع ،وندب له ان يسجد مع ثيابه وشعره فلا يكفيه ،وان لا يكون بعضه محمولا على بعض ويكون رأسه أسفل ما فيه تكميلا للخضوع والتذليل لمن له العز كله والعظمة كلها. ا هـ.

من حكمة تكرير السجود:

وتكرير السجود مرتين فيه الاشارة الى ان العبد لا يستنكف من عبادة ربه والخضوع له فالسجدة الاولى امتثالا وائتماراً ،والثانية شكراً على توفيقه لذلك كما قيل ان الله تعالى لما امر الملائكة بالسجود لادم فسجدوا كلهم اجمعون

الا ابليس فنظر اسرافيل اليه فرآه لم يسجد فسجد هو لله تعالى سجدة اخرى شكراً على ما أنعم الله عليه بالتوفيق فنحن أمرنا بالسجود مرتين اقتداء به، قاله في كتاب محاسن الاسلام للقنوجي.

من حكمة الاعتدال من السجدة:

ورفع الرأس من السجدة فيه الاشارة الى الضعف والحاجة الى المولى جلت عظمته.

من حكمة الجلوس للتشهد:

اما حكمة الجلوس من السجود للتشهد ففيه الدليل الواضح على لطف الله ورحمته بعبده في ضعفه حيث يأمره في صلاة واحدة بالقعود مرتين فكأنه تعالى يقول: (اقعد عبدى فقد تعبت في خدمتى) فسبحان الرحيم بخلقه المتودد اليهم بعطفه ورحمته وهو ارحم الراحمين.

وجاء في بدائع الفوائد: ان الصلاة قد اشتملت على عبودية جميع الجوارح والاعضاء، مع عبودية القلب فلكل عضو منها نصيب من العبودية فجميع اعضاء المصلي وجوارحه متحركة في الصلاة عبودية لله وذُلاً له وخضوعا فلما اكمل المصلي هذه العبودية وانتهت حركاته ختمت بالجلوس بين يدي الرب تعالى.

التشهد:

اما الحكمة في التشهد فلما في مبدأ الصلاة من التعظيم لله عز وجل وتوحيده، ناسب ان تكون مختومة بمثل ما بدئت به من تعظيم لله تعالى عز وجل واخلاص العبادةله ،وليجدد عقد الايمان قبل الانصراف من حضرته تعالى كما ورد في الحديث: « جددوا ايمانكم » فالمصلى عند خروجه من الصلاة بمنزلة من يريد الانصراف من حضرة الملك ولله المثل الاعلى فيثني عليه أبلغ ثناء بقوله « التحيات لله ..... الخ.. » اذ عادتهم اذا دخلوا على ملوكهم أن يحيوهم بما يليق بهم وتلك التحية تعظيم لهم وثناء عليهم والله احق بالتعظيم والثناء من كل احد من خلقه.

من حكمة السلام عليه صلوات الله وسلامه عليه:

ثم لما أكمل المصلي صلاته وقعد قعدة العبد الضعيف الذليل لسيده مثنيا عليه أبلغ ثناء وأفضل تحية شرع له أن يحيِّي ويسلم على من جاء بهذا الدين القويم والحظ الوفير ومن نالته الامة على يديه صلوات الله وسلامه عليه تنويهاً بذكره واظهاراً لفضله وإقراراً برسالته وأداء لبعض حقه كما أن السلام عليه فيه معنى الميثاق والمعاهدة على التمسك بدينه وشريعته

ثم يسلم على نفسه وعلى سائر عباد الله الصالحين) إشارة الى معنى سام من معاني الاسلام وهو: أنه دين يدعو الى السلم ويأمر أهله أن يحيوا به في الصلوات الخمس وأنه شعارهم الذي تنطق به شفاههم كل يوم ملايين المرات

من حكمة الصلاة عليه وآله عليه السلام:

ثم يأتى بالشهادتين ويصلي على من علّم الأمة هذا الخير ودلهم عليه لأنه الواسطة العظمى بين الله تعالى وبين خلقه في تبليغ الرسالة ومنقذ الانسانية من ظلمات الغواية والكفر والالحاد الى السعادة الابدية والهداية والعرفان، وصلاتنا على الآل تبع له عليه الصلاة والسلام إذ محبتهم وتوقيرهم وموالاتهم وإحترامهم من مودته ومحبته والايمان به، وبما جاء به عليه الصلاة والسلام وذلك داخل في عموم قوله تعالى: [قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى] آية ٢٣ الشورى كما نصلى على أهل بيتهم وسلفهم الأول ابراهيم وآله عليهم السلام والصلاة مِنَّا دعاءٌ يتضمن طلب اعطائه ﷺ من الخير والبركة ما أعطاه لآل إبراهيم من النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين وعلى رأسهم وأعظمهم وأجلهم سيدنا محمد عليه وعليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم فان الله تعالى جعل إبراهيم عليه السلام الأب الثالث للعالم والسبب

الأعظم في وجود هذا النبي الكريم ،فان أبانا الأول آدم عليه السلام ،والأب الثاني هو نوح عليه السلام وأهل الأرض كلهم من ذريته كما قال تعالى: [وجعلنا ذريته هم الباقين] والأب الثالث أبو الآباء وعمود العالم وإمام الحنفاء الذي اتخذه الله خليلا وجعل في ذريته النبوة والكتاب ذاك خليل الرحمن وشيخ الأنبياء كما سماه ابنه الأعظم محمد ﷺ بذلك ولم يأمر الله تعالى رسوله أن يتبع ملة أحد من الأنبياء غيره [ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين]

الدعاء فيها:

ثم يختار من الدعاء ما الحاجة اليه ماسة من خيري الدنيا والآخرة ثم ينصرف من الصلاة

من حكمة السلام منها:

مسلما على من معه من الملائكة والمؤمنين، وبهذا يقبل المسلم على الدنيا اقبالا جديدا فيه معنى السلام والرحمة والمتضمن لاحد اسماء الله الحسنى فيكون مفتتحا لصلاته باسمه تبارك وتعالى مختتما باسمه مع ما في هذا الاسم من الخاصية والحكمة والمناسبة لانصراف المصلي من بين يدي

الله فان المصلي ما دام في صلاته بين يدي ربه فهو في حماه الذي لا يستطيع احد ان يخفره بل هو في حمى من جميع الآفات والشرور فاذا ما انصرف من بين يدي الله مصحوبا بالسلام لم يزل عليه حافظا من الله الى وقت الصلاة الاخرى فكان من تمام النعمة عليه ان يكون انصرافه من بين يدي ربه يستصحبه ويدوم له ويبقى معه. (١هـ) ملخصا من بدائع الفوائد. هذه هي الصلاة في الاسلام فيا ترى ان من أداها على الوجه المطلوب أيبقى فيه شيء من ظلمة النفس ومرض الطباع ام ان تكرارها بمنزلة الدواء الذي يتكرر اخذه كلما خيف من صولة المرض وشدة الداء؟

من حكمة جهر القراءة وإسرارها في الصلاة

لا شك ان من المعلوم ما كان عليه النبي ﷺ في اول الامر وابتداء الاسلام من الجهر في الصلوات كلها ليسمع القرآن الكريم ويدخل الايمان في قلوب اعدائه فلما رأى ذلك لا يجدي بل قصدوا الى عدم سماعه والى الالغاء فيه كما قال تعالى:

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغُوا فيه لعلكم تغلبون) (فصلت) ولم يقف الامر عند هذا الحد بل

شرعوا في اذى المصلين حين سماع القرآن الكريم عندئذٍ اقتصر النبي الكريم ﷺ على الجهر في الصلوات الليلية دون النهارية لان الليل مظنة الهدوء والسكون كما قال تعالى: (ان ناشئة الليل هي اشد وَطْأً وأَقْوَمُ قِيلا) والى هذا المعنى يشير القرآن الكريم فيكون الصوت في هذه الحالة حلوا لذيذا مؤثرا في القلب والقالب ،اما عدم الجهر في النهار فلان النهار مظنة الضوضاء والاصوات التي تؤلم الآذان وحتى لا يمتزج صوت تلاوة القرآن اللذيذ بتلك الاصوات والالفاظ البشرية فيمتنع التأثير.

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «اعلام الموقعين»:

«فصل»: واما التفريق بين صلاة الليل وصلاة النهار في الجهر والإسرار ففي غاية المناسبة والحكمة فان الليل مظنة هدوء الاصوات وسكون الحركات وفراغ القلوب واجتماع الهمم المشتت بالنهار ،فالنهار محل السبح الطويل بالقلب والبدن، والليل محل مواطأة القلب واللسان ومواطأة اللسان للأذن ولهذا كان من السنة تطويل قراءة الفجر على سائر الصلوات وكان رسول الله ﷺ يقرأ فيها بالستين الى المائة، وكان الصِّدِّيق يقرأ فيها بالبقرة، وعُمَر

رضي الله عنه بالنّحل وهود وسورة الإسراء ويونس، ونحوها من السور، وان القلب أفرغ ما يكون من الشواغل حين انتباهِهِ من النوم، فاذا كان اول ما يقرع سمعه كلام الله الذي فيه الخير كله بحذافيره صادفه خاليا من الشواغل فتمكن فيه من غير مزاحم، واما النهار فلما كان بضد ذلك كانت قراءة صلاته سرية الا اذا عارض في ذلك معارض ارجح منه كالمجامع العظام في العيدين والجمعة والاستسقاء والكسوف فان الجهر حينئذ احسن وأبلغ في تحصيل المقصود وانجع للجميع وفيه من قراءة كلام الله عليهم وتبليغه في المجامع العظام ما هو من أعظم مقاصد الرسالة والله اعلم . ا هـ بنصه رحمه الله.

من حكمة صلاة النافلة

لا شك ان من المعلوم انه لا شيء في الدنيا اعذب ولا احلى لدى المؤمن صحيح الايمان من مناجاة مولاه والوقوف بين يديه والقرب منه وذلك بالقيام بطاعته وطاعة رسوله ﷺ قولا وعملا واعتقادا مصداق قوله ﷺ:

(لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه من نفسه وولده والناس اجمعين) كما انه من المعلوم لا شيء

افضل بعد الفريضة من الاشتغال بالنوافل مصداق الحديث القدسي الشريف: «لا يزال عبدى يتقرب اليَّ بالنوافل حتى احبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به....) الحديث لان الحكمة فيها جليلة والفائدة عظيمة لا يعرف كنهها الا العليم الآمر بها جلت قدرته وعظمت حكمته. انه لما كان من الواجب ان يكون القلب في اداء العبادة المفروضة فان النافلة قبلها مقدمة لها ممهدة لصقل القلب للدخول فيها ولتحصل اللذة للقلب وانشراح النفس واما النافلة البعدية التي تؤدى بعد الفريضة كالظهر - والمغرب - والعشاء فانها كفارة لما يحصل من نقص فيها وبالعموم: فان النافلة شرعت لتكفير السيئات ورفع الدرجات وترغيم الشيطان وقطع طمعه في منعه الانسان من تأدية الفرائض على الوجه الاكمل وتكميل ما عساه يقع من نقص فيها كنقص شيء من آدابها من خشوع وتدبر في قراءة وغيرها لحديث تميم الدارى وغيره ان النبي ﷺ قال: اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان اكملها كتبت له تامة وان لم يكن اكملها قال الله تعالى لملائكته: (انظروا هل تجدون لعبدى من تطوع فاكملوا بها ما ضيع من فريضته) ثم تؤخذ الاعمال على حسب

ذلك، اخرجه احمد وابن ماجه كما في كتاب الدين الخالص للسبكى؛ وقال ابن دقيق العيد في شرح العمدة: في تقديم النوافل وتأخيرها عن الفرائض معنى لطيف، ففي تقديمها لانشغال النفس باسباب الدنيا بعيدة عن الخشوع والحضور التي هي روح العبادة، فاذا قدمت النوافل على الفرائض آنست النفس بالعبادة وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع.

وتأخيرها عنها فَلِما ورد من ان النوافل جابرة لنقص الفرائض كما سبق اهـ بتصرف.

وقال في الدين الخالص: تكره نية الجبرية لعدم العلم بل يفوض وان كان حكمة الجبر في الواقع اهـ.

من حكمة صلاة التراويح

وهكذا بقية النوافل كصلاة التراويح، فانها شرعت كما تقدم لتكفير اللمم من الذنوب ورفع الدرجات مصداق قوله ﷺ: «من قام رمضان ايمانا واحتسابا فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» ومن حكمها التي تعود على المسلم بالسعادة وما في حكمها من التمتع المباح الى وقت الغروب فاذا جاء وقت الافطار تناول ما لذ وطاب حتى اذا استكملت المعدة حظها وجد نفسه وجسمه في فتور

واضمحلال وهذا امر مشاهد فاذا ادى صلاة العشاء الاخرة وبعدها صلاة التراويح ذهب عنه ما كان يجد من الفتور والتعب فلا يخرج منها الا وكأنه نشط من عقال.

من حكمة صلاة الضحى:

وشرعت صلاة الضحى لطول الفترة التي بين صلاة الغداة وصلاة الظهر تذكيرا بالله تعالى وتفاديا من الغفلة عنه تعالى وهي تجزىء عن ثلاثمائة وستين صدقة كما في الحديث الصحيح عن ابي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزىء من ذلك ركعتان يركعها من الضحى » رواه احمد ومسلم وابو داود.

هذا بعض ما يسر الله كتابته من فوائد وحكم النوافل ونسأل الله ان يرزقنا واخواننا المسلمين المداومة عليها لنكون من المقربين آمين.

سجود الشكر وعند رؤية الآيات

تسن سجدة الشكر لمن انعم الله عليه نعمة خاصة او عامة تسره شكرا لمولاه على ما اولاه قال تعالى: « واذ تأذّن ربُّكم لَئِنْ شكرتم لازيدنكم » او رأى آية ترهبه لقوله ﷺ: (اذا رأيتم آية فاسجدوا) كما قال ابن القيم رحمه الله في كتابه اعلام الموقعين (ج٢ ص ٣٩٠) وهذا نصه:

النعم نوعان: مستمرة ومتجددة فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات والمتجددة شرع لها سجود الشكر، شكر الله عليها وخضوعا له وذلا في مقابلة فرحة النعم وانبساط النفس لها وذلك من أكبر ادوائها، فان الله سبحانه وتعالى لا يحب الفرحين ولا الأَشِرين فكان دواء هذا الداء الخضوع والذل والانكسار لرب العالمين وكان سجود الشكر من تحصيل هذا المقصود ما ليس في غيره - ونظير هذا السجود عند الآيات التي يخوف الله بها عباده كما في الحديث: « اذا رأيتم آية فاسجدوا » وقد فزع النبي ﷺ عند رؤية انكساف الشمس الى الصلاة وأمر بالفزع الى ذكره. ومعلوم ان آياته تعالى لم تزل مشاهدة معلومة بالحس والعقل ولكن تجددها يحدث للنفس من الرهبة والفزع الى

الله ما لا تحدثه الآيات المستمرة فتجدد هذه النعم في اقتضائها لسجود الشكر كتجدد تلك الآيات في انقضائها للفزع الى السجود والصلوات، ولهذا لما بلغ فقيه الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس موت ميمونة زوج النبي (ﷺ) خر ساجدا فقيل له: اتسجد لذلك؟ فقال: قال رسول الله ﷺ:

« «اذا رأيتم آية فاسجدوا » وأي آية أعظم من ذهاب ازواج النبي ﷺ من بين اظهرنا؟ فلو لم تأت النصوص بالسجود عند تجدد النعم لكان هو محض القياس ومقتضى عبودية الرغبة، كما ان السجود عند الآيات مقتضى عبودية الرهبة. وقد اثنى الله على الذين يسارعون في الخيرات ويدعونه رغبا ورهبا ولهذا فرق الفقهاء بين صلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء بأن هذه صلاة رهبة وهذه صلاة رغبة فصلوات الله وسلامه على من جاءت سنته وشريعته باكمل ما جاءت به شرائع الرسل وسننهم وعلى آله، اهـ.

« سجدة التلاوة »

يسجد القارىء والمستمع عند تلاوة آية من آيات السجود من القرآن الحكيم أو سماعها سجدة واحدة لا تشهُّد

فيها ولا تسليم وحكمة مشروعيتها كما قال ابن القيم رحمه الله في كتابه اعلام الموقعين (ج ٣ ص ٣٨٩): مواضع السجود في القرآن نوعان اخبار وامر فالاخبار خبر من الله تعالى عن سجود مخلوقاته له عموما او خصوصا، فسن للتالى والسامع وجوبا أو استحبابا ان يتشبه بهم عند تلاوة آية السجود او سماعها وآيات الاوامر بطريق الاولى، وهذا السجود شرعه الله ورسوله عبودية عند تلاوة هذه الآيات واستماعها وقربة اليه وخضوعا لعظمته وتذللا بين يديه. أهـ بنصه رحمه الله.

من «حكمة قصر الصلاة للمسافر»

لما يعاني المسافر في سفره غالبا من المشاق والانشغال بدواعى السفر والتعرض لأخطاره وعنائه، فكان من لطف الله تعالى ورحمته بعباده المسافرين ان خفف عنهم فشرع لهم صلاة القصر قصر الرباعية منها فقط دون الثنائية والثلاثية اذ هي لا تقبل القسمة دون تلك والله اعلم.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه اعلام الموقعين: (فصل) واما نقصه الشطر من صلاة المسافر الرباعية دون الثلاثية والثنائية ففي غاية المناسبة، فان الرباعية تحتمل الحذف لطولها بخلاف الثنائية فلو حذف

شطر لأَجْحف بها ولزالت حكمة الوتر الذي شرع خاتمة العمل، واما الثلاثية فلا يمكن تشطيرها، وحذف ثلثيها مخل بها وحذف ثلثها يخرجها عن حكمة شرعها وترا فانها شرعت ثلاثا لتكون وتر النهار كما قال النبي ﷺ: «المغرب وتر النهار فأوتروا لصلاة الليل».

«صلاة المريض»

لما كانت الصلاة بجانب معناها الرياضي عبادة روحية يجب ان يقوم بها الصحيح والسقيم على السواء. ولما كان المريض لا يتمكن من القيام بجميع حركاتها لهذا خفف الله تعالى عنه كما في صحيح البخارى عن عمران بن حصين قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ في الصلاة فقال: (صل قائمًا فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب) كما اباح الدين الاسلامى للمريض والمسافر الافطار في رمضان: (فَمَنْ كان مِنْكُم مريضاً أَوْ على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ من أيام أُخَر) فترى الدين يمزج المنافع الروحية بالمنافع الجسدية ليتأهل الآخذ بها لسعادة روحه وسعادة بدنه، ولرُبَّ قائل يقول ان الدين يسر لا عسر فيه فكيف يكلف المريض بالصلاة وهو في هذا الحال؟.

الجواب: لما علم الشارع الحكيم ان الصلاة تجعل الانسان دائما قريبا من مولاه قرير العين برضوانه والفوز بغفرانه خففها عنه ولم يسقطها البتة كما تقدم والله اعلم.

النهي عن صلاة النافلة في بعض الاوقات

تأديبا للنفس المؤمنة وزيادة في كمالها وحرصا من الشارع الحكيم على طهارتها ورفعة قدرها عن التشبه باعداء دينها الحنيف في عبادتهم نهى عن صلاة النافلة في هذه الاوقات، وهي بعد صلاة الفجر ممن صلاها حتى تطلع الشمس، وعند قائم الظهيرة وبعد صلاة العصر ممن صلاها حتى تغرب الشمس وعلل لذلك بانها تطلع وتقوم وتغرب بين قرنى الشيطان فيزينها في عين من يعبدها ويجعل الشمس بين قرنيه ليقع سجودهم نحوها له كما في حكمة التشريع.

اما في المسجد الحرام، فيرى بعض العلماء عدم شمول النهي في هذه الاوقات فيه لان المسلم حين وجوده فيه يكون ابعد عن التشبه بمن يعبد غيره من المخلوقات، ولانه حالٌّ في اول بيت وضع للناس لعبادته تعالى وهو باب الله الذي لا يغلق ولا يمنع من الدخول والعبادة فيه في اي وقت من الاوقات ولما ثبت في الصحيح قوله ﷺ:

« يا بني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا البيت وصلى في اية ساعة شاء من ليل او نهار » ولما في مسند الامام احمد عن ابي ذر رضي الله عنه انه اخذ بحلقة باب الكعبة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا بعد الفجر حتى تطلع الشمس الا بمكة) اخرجه الدارقطني والطبراني في الاوسط وابو يعلى في مسنده والبيهقى ، ا هـ من الفتح الربانى (ج ٢ ص ٢٩٩ .)

من حكمة « صلاة الجمعة »

ان الدين الاسلامي فيه من المصالح الدينية والدنيوية ما لا توجد في سائر الاديان لانه جاء مكملا لها .

فلما كانت الجماعة كمؤتمر يومى لا يكفى لاجتماع المجتمع كله لانشغال افراده بمصالحهم المعيشية او لبعد مساكنهم عن بعض، شرع الدين الاسلامى مؤتمرا آخر اسبوعيا الا وهي صلاة الجمعة وحث عليها الشارع الحكيم لاجتماع كلمة المسلمين وايجاد التآلف والتوادد والتكاتف وللبحث في مشاكلهم الخاصة والعامة: قال تعالى: « يا ايها الذين آمنوا اذا نُودِيَ للصلاة من يوم الْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا الى ذِكْر الله وذَرُوا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »

ومن سماحة هذا الدين الحنيف ورحمة الشارع الحكيم وشفقته بعباده ان جعل صلاة الجمعة ركعتين حيث قد يحضر اليها المريض والسقيم والمسافر والبعيد وذو الحاجة « ما جعل عليكم في الدين من حرج » ثم من حكمته تعالى انه لم يقتصر على هذا الاجتماع، في هذا اليوم المبارك واداء الركعتين فقط بل شرع الخطبة قبلها للعظة والتذكير والبحث في مصالح المجتمع وحل مشاكله، وذكر الدواء الناجع للداء الذي اصيب به كما كان عليه سلفنا الصالح حيث كانوا يشرحون للمصلين كل ما فيه فائدة دينية او دنيوية تعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير العميم، بخلاف ما عليه بعض خطباء عصرنا الذين يقومون على المنابر ويخطبون خطبا طال عليها القدم ولا تمت الى الزمان الحاضر والمجتمع بأية صلة ولا تؤثر في القلوب التأثير المطلوب، فأمانة الخطيب التي طوق بها عنقه ان يشرح الداء الذي اصيب به المجتمع ويصف الدواء بصورة مؤثرة وبصوت جهوري مخيف كما كان عليه سيد الخطباء ﷺ كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم. فعن ابى نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال:

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب

وذرقت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأَوْصِنَا، قال: اوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وان تأمَّر عليكم عبد فانه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأُمور فإن كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالة »

رواه ابو داود والترمذي. وقال حديث حسن صحيح.

من حكمة « صلاة العيدين »

العيدان تثنية عيد وهو مشتق من الْعَوْد سمي به يوم الفطر ويوم الاضحى لعوْدِ السرور بعودها أو لكثرة عوائد الله تعالى فيها على عباده، ومنها غفران الذنوب، فقد قال رسول الله ﷺ: اذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على ابواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين الى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل لقد أُمرتم بقيام الليل فقمتم وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأَطْعَمْتُم ربكم فاقبضوا جوائزكم؛ فاذا صلّوا نادى منادٍ: ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة. أخرجه الطبراني عن اوس الانصارى.

لما كانت صلاة الجماعة المؤتمر اليومي، وصلاة الجمعة المؤتمر الاسبوعى لا يكفيان لاجتماع المجتمع كله واتحاد كلمته وذلك لانشغال افراده عن البعض بمصالحهم المعيشية ولكثرة المسلمين واتساع مجتمعاتهم وبعد اماكنهم من البعض، شرع الدين الاسلامى صلاة العيدين المؤتمر السنوى الاول ليكون الاتحاد اعظم والنفع اجدى وانجع، كما ان من حكم مشروعية العيدين اظهار قوة المسلمين لاعدائهم عندما يرونهم متحدين مترابطين برباط المودة والاخاء، مظهرين الزينة والافراح المشروعة التي اقرها النبي ﷺ لاهل المدينة حين قدومه ﷺ اليها ووجد الانصار يظهرون الافراح والسرور في يومين اثنين فقال لهم: ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال النبي ﷺ:

«قد أَبْدل الله لكم خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر فاظهار الفرح والسرور وادخاله على قلوب الفقراء والمعوزين كما عرفت امر رغب فيه الدين الاسلامى وحث عليه الشارع الحكيم لما يقع فيها من التوسعة والانفاق من ذوى اليسار على اخوانهم ذوى الفاقة والاعسار، شكرا لله تعالى على توفيقه بما من عليهم من اداء هذين الركنين العظيمين من اركان الاسلام - الصوم - والحج.

ثم انه لما كان المجتمع في حاجة ماسة الى العظة والتذكير في هذين اليومين لانشغال افراده باسباب المسرة والافراح.

من حكمة الخطبة فيهما:

شرعت الخطبة فيهما استحبابا كي لا تحل الغفلة في القلوب،وجعلت بعد الصلاة لئلا تضاهي خطبتيْ الجمعة اذ هذه واجبة وتلك مستحبة كما ثبت عن النبي ﷺ من رواية عبد الله بن السائب قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ العيد ولما قضى الصلاة قال: انا نخطب فمن احب ان يجلس للخطبة فليجلس ومن أحب ان يذهب فليذهب » رواه النسائي وابو داود وابن ماجه.

(مشروعية التكبير ليوميْ عيد الفطر والاضحى والجهر به)

يدل قوله تعالى: (وَلِتُكْمِلُوا العدة ولتكبِّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) على مشروعية التكبير وسنيته في ليلتيْ العيدين - الفطر والاضحى. وقد ثبت في السنة أن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان اذا غدا يوم الفطر ويوم الاضحى يجهر بالتكبير حتى يأتي المصلى ثم يكبر حتى يأتى الامام كما في سنن الدارقطنى فاظهار التكبير والجهر به لغير النساء سنة مستحبة،واعظم شعيرة من شعائر هذين اليومين

المشروعة، غير ان كيفية أدائه في جماعة بصوت واحد وعلى وتيرة واحدة بنغمات والحان خاصة يجاوبهم اخرون عند فراغ اولئك على النحو الذي اداه، وبالصفة التي فعلها الاولون لا شك أن هذه الكيفية وتلك الصفة في التكبير امر مُحْدث لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا صحابته رضوان الله عليهم أجمعين، بل المعروف الثابت هو ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول في تكبيره (الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله الله أكبر الله أكبر ولله الحمد) والمسلمون منذ الصدر الاول الى من بعدهم كل يكبر على حدته منفردين بدون ان يكبروا مجتمعين وبصوت واحد وعلى وتيرة واحدة، وقد انكر ابن مسعود رضي الله عنه على قوم اجتمعوا يسبحون ويحمدون ويكبرون جماعة قائلا لهم: لقد جئتم ببدعة ظلماء او أنكم فقتم محمدا واصحابه علماً؛ وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة، وقد ورد مثل هذا الكثير من سلف الامة ورعيلها الاول من الحث على الاتباع والتحذير من الابتداع ومضاره فقد قال عبد الله ابن الديلمى: (بلغني ان أول ذهاب الدين ترك السنة، يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الجهل قوة قوة) وقال الامام ابو حنيفة رحمه الله:

(عليك بالاثر وطريقة السلف ،واياك وكل محدثة فانها بدعة وقال الامام مالك رحمه الله من :ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم ان محمدا خان الرسالة) لان الله تعالى يقول: (اليوم اكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا. وبمثل ذلك قال الإمامان - الشافعي واحمد رحمهما الله؛ اهـ. ملخصا من جواب لفضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد على سؤال وجهته اليه جريدة الندوة بعددها ٢٧١٤ وتاريخ ٢٩ رمضان ١٣٨٧ هـ عن الشكل الذي يكون عليه التكبير ليلة العيد وقبل الصلاة والله الموفق والهادى الى سواء السبيل.

فائدة

تتميما للفائدة المرجوة للقارىء الكريم نورد هذه الفائدة العظيمة التي هي وامثالها من الحكم والفوائد هدفنا الوحيد كتابة هذه الوريقات: قال في كتاب الدين الخالص للخطّاب السبكى ما نصه:

من حكمة مشروعية الجمعة والجماعة والعيدين والحج

وحكمة مشروعيتها ما يترتب على الاجتماع اليها من جمع

الكلمة والتحابب والتعاطف والتآلف والتعلم وتعود الصبر والامتثال: (قال ابن مسكويه في بحث المحبة في كتاب تهذيب الاخلاق: السبب في هذه المحبة الانس لان الانسان آنس بالطبع ومنه اشتق اسم الانسان وليس كما قال الشاعر:

سميت انسانا لكونك ناس[1]

ظنا منه انه مشتق من النسيان

فينبغي ان نحرص على هذا الانس الطبيعي ونكسبه مع ابناء جنسنا فانه مبدأ المحبة كلها. وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ليحصل بهم هذا الأُنس ولعل الشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلاة الجماعة على الآحاد ليحصل لهم هذا الانس الذي هو منهم ا. هـ.

من حكمة صلاة الاستسقاء

التعريف:

الاستسقاء لغة: طلب السقيا. وشرعا: طلب السقي من

---

(١) وقول الآخر:

وما سمي الانسان الا لنسيه ولا القلب الا انه يتقلب.

الله تعالى: عند حصول الجدب بالثناء عليه والفزع اليه بالاستغفار والصلاة.

سببه:

وسبب الجدب والقحط ارتكاب المخالفات كما ان الطاعة سبب للبركات قال تعالى: (وَلَوْ أَنّ أَهْلَ القُرى آمنوا واتّقوا لَفَتَحْنَا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن كذَّبوا فأخذْناهُم بما كانوا يَكْسبون) وقال تعالى: (وأَنَ لو استقاموا على الطريقة لأَسقيْناهم ماء غدقا) وفي السنة عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي (قال: ﷺ وما نقص قوم المكيال والميزان الا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَوْر السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا مُنِعوا الْقَطْر من السماء ولولا البهائم لم يُمْطروا) اخرجه ابن ماجة وعند احمد والحاكم والبزار عن ابى هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: قال ربكم عز وجل: «لو ان عبادى اطاعونى لاسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما اسمعتهم صوت الرعد» مصداق قوله تعالى (وأَنْ لو استقاموا على الطريقة لَأَسْقَيْنَاهُم ماء غدقا) فانت تعلم مما تقدم لك من الآيات القرآنيَّة والاحاديث النبوية ان الجدب وقلة الامطار وعدم نزول الغيث الذي هو حياة كل شيء كارثة

من الكوارث ومن عظمى المصائب سببه التجرؤ على الله تعالى بارتكاب المخالفات فلا يكشفها الا العالم بأحوال عباده الرحيم بهم.

الحكمة في ذلك:

لهذا وجب اللجوء اليه والوقوف بين يديه والتضرع والتذلل له وطلب الغوث والمدد منه ليكشف عنهم ما حل بهم.

من حكمة الكسوف والخسوف

التعريف:

الكسوف: تغير الشمس الى السواد؛ والخسوف: ذهاب ضوء القمر.

السبب:

وسببه تجلى الله تعالى لها، بمعنى ظهور شيء من نوره عز وجل فتنطمس انوارها إجلالا لهيبته[1] نظير قوله تعالى: «فلما تجلى ربُّه للجبل جعله دكّاً» ولما في السُّنَّة من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال:

«كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ وكان يصلى ركعتين ثم يسأل ثم يصلي ركعتين ثم يسأل حتى انجلت

(١) سبب الكسوف والخسوف صار معلوماً ولا داعي للتأويل.

الشمس فقال اناس من اهل الجاهلية يقولون او يزعمون ان الشمس والقمر اذا انكسف واحد منهما فانما ينكسف لموت عظيم من عظماء اهل الارض وان ذلك ليس كذلك ولكنهما خَلْقان من خلق الله فاذا تجلى الله عز وجل لشيء من خلقه خشع لـه » اخرجـه احمد وابن ماجة في سننه والحاكم فيالمستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين واخرجه النسائي والبيهقي وصححـه. الا ان الغزالي رحمه الله استشكل هذه الزيادة وهي: «اذا تجلى الله لشيء من خلقه خشع له » وقال: انها لم تثبت فيجب تكذيب ناقليها ولو صحت لكان تأويلها أهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم اصلا من اصول الشريعة (اهـ) من (العدة) و(كتاب الدين الخالص.) وحاشيتي السندى والسيوطي على سنن النسائي.

ويعني بالامور القطعية ما قاله الفلكيون من ان السبب في كسوف الشمس هو توسط القمر بين الارض والشمس، وفي الخسوف حيلولة الأرض بين القمر والشمس وقد رد غير واحد من العلماء استشكال الغزالي هذا فقد قال القاضي السبكي في منع الموانع: انكار الغزالى هذه الزيادة غير جيد فإن الحديث مروي عن النسائي وغيره وهو لا يتنافى مع ما قاله الفلاسفة من ان كسوف القمر عبارة عن ذهاب ضوئه

بتوسط الأرض بينه وبين الشمس حيث انه اقتبس نوره منها والارض كرة. فاذا وقع القمر في ظل الارض والشمس. انقطع عنه نور الشمس وان كسوف الشمس سببه توسط القمر بين الأرض والشمس. فانه لا يبعد ان العالم بالجزئيات ومقدر الكائنات سبحانه وتعالى يقدر في الازل خسوفها بتوسط الارض بين القمر والشمس ووقوف القمر بين الأرض والشمس ويكون ذلك وقت تجليه سبحانه وتعالى. فالتجلى سبب لكسوفها قضت العادة بان يقارن توسط الأرض والقمر ولا مانع من ذلك فلا ينبغي منازعة الفلاسفة فيما قالوا اذ دلت عليه براهين قطعية؛ ا هـ كلام السبكي من كتاب (الدين الخالص) للخطّاب السبكي.

وقد رد عليه ابن بزيزة بهذا المعنى مرتضيا دعوى الفلاسفة قال ذلك الامير الصنعاني في كتابه (العدة) منكرا على الغزالى دعواه ودعوى مؤيديه من الفلاسفة حيث يقول: «والعجب من الغزالي حيث استشكل هذه الزيادة الى ان قال: وقد تولى الرد عليه ابن بزيزة بان سلم دعوى الفلاسفة وزعم انها لا تصادم الشريعة مع انها مبنية على ان العالم كروي الشكل وظاهر الشرع يعطى خلافه لان الكسوف اثر الارادة القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين

الجرمين النور متى شاء والظلمة متى شاء من غير توقيف على سبب، والحديث قد ثبت عن غير واحد من اهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى ايضا لان النورية والاضاءة من عالم الجمال الحسى فاذا تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ويؤيده قوله تعالى: «فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا».

ثم قال: والشارح في عبارته توجيه كلام اهل الهيئة وفيه نظر، اهـ. اقول: ومحل النظر فيه والله اعلم هو ما قاله القاضي ابو بكر العربى في كتابه (عارضة الاحوذي) وهو اولا ان الكسوف لا حقيقة له عند الفلاسفة اذ قالوا ان الشمس لا تتغير في نفسها وانما القمر يحول بيننا وبينها ونورها باق وهذا خلاف ظاهر الحديث ثانيا - انهم يزعمون ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير اذا قابله؟ وكيف يظلم الكبير بالقليل لا سيما وهو من جنسه؟ وكيف تحجب الارض نور الشمس وهي في زاوية منها فانهم يزعمون ان الشمس اكبر من الأرض بتسعين ضعفا وللامام ابن القيم رحمه الله تعالى تحقيق بليغ في الموضوع في (كتابه مفتاح دار السعادة) (ج ٢ ص ٢٠٦ الى ٢٠٩) - ملخصه ما قدمناه من اقوال الفلاسفة من ان سبب كسوف الشمس توسط القمر بين جرم الشمس وبين

ابصارنا فان القمر عندهم جسم كثيف مظلم وفلكه دون فلك الشمس ،فاذا كان على مسامتة احدى نقطتي الرأس او الذنب او قريبا منهما حالة الاجتماع من الجانب الاخر فان لم يكن للقمر عرض ستر عنا نور كل الشمس ،وان كان له عرض فبقدر ما يوجبه عرضه.. الخ وقد رد رحمه الله اعتراض ابن العربى السابق بقوله: (فاذا قيل فجرم القمر اصغر من جرم الشمس بكثير فكيف يحجب عنا كل الشمس)...؟ قيل انما يحجب عنا جرم الشمس لقربه منا وبعدها عنا لان الشيئين المختلفين في الصغر والكبر اذا قرب الصغير من الكبير يرى من اطراف الكبير اكثر ما يرى من اطراف الاكبر الى ان ينتهى الى حد لا يرى من الاكبر شيء ، قال: والحس شاهد بذلك ، واما بالنسبة لسبب خسوف القمر فقد قال رحمه الله تعالى: هو توسط الأرض بينه وبين الشمس حتى يصير القمر ممنوعا من اكتساب النور من الشمس ويبقى ظلام الارض في ممره لان القمر لا ضوء له ابدا وانه يكتسب الضوء من الشمس.... الخ..

ومن اراد التحقيق والتوضيح والبيان فعليه بمراجعة كلامه في كتابه الآنف الذكر ،ونحن انما ذكرنا طرفا منها تنزيلا على المثل القائل: ما لا يدرك كله لا يترك جله. ولم

نتعرض لذكر كل التحقيق خشية الاطالة والسآمة والملل.
على انه رحمه الله تعالى ذكر سببا آخر للكسوف والخسوف هو ما اشرنا اليه في اول الباب او قريب منه حيث يقول:
على ان ههنا مسلكا بعيد المأخذ لطيف المنزع يتقبله العقل السليم والفطرة السليمة وهو: ان كسوف الشمس والقمر وجب لهما من الخشوع والخضوع بانمحاء نورهما وانقطاعه عن هذا العالم ما يكون فيه سلطانها وبهاؤهما وذلك يوجب لا محالة لهما من الخشوع والخضوع لرب العالمين وعظمته وجلاله مما يكون سببا لتجلي الرب تبارك وتعالى لهما ولا يستنكر ان يكون تجلي الله سبحانه وتعالى لهما في وقت معين كما يدنو من اهل الموقف عشية عرفة وكما ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا عند مضى نصف الليل فيحدث لهما ذلك التجلي خشوعا آخر ليس هو الكسوف، ولم يقل النبي ﷺ ان الله اذا تجلى لهما انكسفا ولكن اللفظة: «فاذا تجلى الله لشيء من خلقه خشع له» ولفظ الامام احمد في الحديث «اذا بدا الله لشيء من خلقه خشع له».

فها هنا خشوعان خشوع أوجبه كسوفهما بذهاب ضوئهما وانمحائه فتجلى الله سبحانه لهما فحدث لهما عند تجليه تعالى خشوع آخر سبب التجلى كما حدث للجبل اذ تجلى تبارك

وتعالى له ان صار دكا وساخ في الارض وهذا غاية الخشوع لكن الرب تبارك وتعالى ثبتها لتجليه عناية بخلقه لانتظام مصالحهم بها ولو شاء سبحانه لثبت الجبل لتجليه كما ثبتها ولكن ارى كليمه موسى ان الجبل العظيم لم يطق الثبات له فكيف تطيق انت الثبات للرؤية التي سألتها اهـ.

وعلى اي كان السبب هذا او ذاك. حيث لا مناقضة بينهما ولا منافاة.

الحكمة في ذلك:

كما قرر المحققون فان الحكمة في مشروعية ذكر الله والصلاة والصدقة والصيام عند كسوفها واضحة جلية من الحديث الشريف عن ابى مسعود عقبة بن عمرو الانصارى البدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوِّف الله بهما عباده وانهما لا ينكسفان لموت احد من الناس فاذا رأيتم منها شيئا فصلُّوا وادْعوا حتى ينكشف ما بكم ».

قال ابن القيم رحمه الله: لان هذه الاشياء وهي الفزع الى ذكر الله والصلاة والعتق والصدقة وفعل الخير تدفع موجب الكسف الذي جعله الله سببا لما جعله فَلَوْلاَ انعقاد

سبب التخويف لما امر بدفع موجبه بهذه العبادات ولله في أيام دهره اوقات يحدث فيها ما يشاء من البلاء والنعماء ويقضى من الاسباب بما يدفع موجب تلك الاسباب لمن قام به او يقلله او يخففه ،فمن فزع الى تلك الاسباب او بعضها اندفع عنه الشر الذي جعل الله الكسوف سببا له او بعضه ولهذا قل ما يسلم اطراف الأرض-حيث يخفى الإيمان وما جاءت به الرسل فيها من شر عظيم يحصل بسبب الكسوف وتسلم منه الاماكن التي يظهر فيها نور النبوة والقيام بما جاءت به الرسل أو يقل فيها جدا ولما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ قام فزعا مسرعا. ونادى في الناس: الصلاة جامعة وخطبهم بتلك الخطبة البليغة واخبر انه لم ير كيومه ذلك في الخير والشر وأمرهم عند حصول مثل تلك الحالة بالعتاقة والصدقة والصلاة والتوبة فصلوات الله وسلامه على اعلم الخلق بالله وبأمره وشأنه وتعريفه أمور مخلوقاته وتدبيره وانصحهم للامة ومن دعاهم الى ما فيه سعادتهم في معاشهم ومعادهم ونهاهم عما فيه هلاكهم في معاشهم ومعادهم اهـ.

هذا وقد نقل الامام ابن جرير الطبري في احكامه بعض الحكم والفوائد في الكسوف نورد بعضها هنا لمناسبة المقام وهي:

اولا - ازعاج القلوب الساكنة بالغفلة وايقاظها وهذه صريحة في الحديث الشريف.

ثانيا - رؤية الناس انموذجا مما يقع في القيامة: قال الله تعالى (وخسف القمر وجُمع الشمس والقمر).

ثالثا - التنبيه من خوف المكر ورجاء العفو فانهما يكسفان في حال كمالهما ثم يلطف بهما بعوْدِهما الى حالهما.

رابعا - الاعلام بانه قد يؤخذ بالذنب من لا ذنب له ليحذر المذنب.

خامسا - مشروعية الفزع الى الطاعات والتقرب الى الله بانواع القربات عند نزول الآيات لدفع البلاء المحذور لانه تخويف من الله تعالى.

فينبغي ان يبادر الى طاعته ليكشف عن عباده كما في حديث ابى موسى الاشعري رضي الله عنه قال: خسفت الشمس على زمان رسول الله ﷺ فقام فزعا يخشى الساعة حتى أتى المسجد فقام فصلى... » الحديث.

كما ان الزلزال وهو نتيجة عن الرياح التي تجول في الأرض وتدخل في تجاويفها وتحدث منها الأبخرة وتخفق الرياح ويتعذر عليها المنفذ فيأذن الله تعالى لها في الأحيان

بالتنفس فيحدث الزلزال العظام فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية والانابة والاقلاع عن معاصيه والتضرع اليه والندم، كما قال بعض السلف وقد زلزلت الأرض: (ان ربكم يستعتبكم) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد زلزلت المدينة فخطبهم ووعظهم وقال: (لئن عادت لا أساكنكم فيها) قال العلامة ابن القيم في كتابه (مفتاح دار السعادة):

وصريحه ان الكسوف والخسوف انما هو تخويف من الله تعالى فناسب للمسلم ان يبادر الى طاعة مولاه بالصلاة وجميع انواع القربات ليكشف عنه مما حل به وليكون موضع الرحمة ان وافاه الاجل وهو على هذه الحال.

مما سبق لك تعلم ان ما يفعله الجهلة من العامة في بعض البلاد الاسلامية عند الكسوف والخسوف من ضرب الطبول وقرع الاواني النحاسية وهم يصيحون بكلمات الجهالة والعار وهذا لا شك سببه الجهل واهمال تعلم احكام الدين وعدم قيام اهل العلم بواجبهم الديني نحو العامة والمجتمع من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارشادهم الى ما فيه السعادة والفلاح.

« تجهيز الميت »

تجهيزه هي الطريقة المعروفة المتبعة من لدن ابى البشر سيدنا آدم عليه السلام الى عهدنا هذا من غسله وتكفينه والصلاة عليه وحمله ودفنه كما روى الحسن عن عتى بن ضمرة السعدى عن أُبيٍّ ابن كعب: «ان آدم عليه السلام قبضته الملائكة وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له والحدوا له وصلوا عليه ثم دخلوا قبره فوضعوه فيه ووضعوا عليه اللبن ثم خرجوا من القبر ثم حثوا عليه التراب ثم قالوا: يا بنى آدم هذه سنتكم». اخرجه ابن احمد في زوائد المسند والحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ من (الدين الخالص) (ج ٢ ص ١٥٤).

من حكمة ذلك.

تتميما لحق المسلم بعد الممات شرع تجهيزه الى الله تعالى كما في حديث: (حق المسلم على المسلم ست: اذا لقيته فسلِّم عليه واذا دعاك فأجِبْهُ واذا ٱسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْهُ واذا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ واذا مات فٱتْبَعْهُ». رواه مسلم.

فمن واجب المسلم تشييع جنازة اخيه الميت اكراما له

وجبراً لقلوب اقاربه لان المشيع شفيع كما في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من ميت يصلي عليه أُمَّة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه رواه مسلم، والحديث الآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم يموت يقوم على جنازته اربعون رجلا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه) رواه مسلم.

من حكمة غسله:

وغَسْله فرض كفاية بإجماع الامة وسببه الحدث لان الموت سبب للاسترخاء وزوال العقل لا لنجاسته اذ المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا لقول ابن عباس رضي الله عنهما:

«المسلم لا ينجس حيا ولا ميتا» ذكره البخاري تعليقا ووصله الحاكم والبيهقي كما أن من حكمة مشروعية غسله اكراما وتعظيما له لانه قادم على مولاه وحرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا لهذا وجبت علينا نظافته وطهارته اذ هو خرج من دائرة التكليف.

من حكمة تكفينه:

تكفينه فرض كفاية لقوله ﷺ في شأن المحرم الذي

وَقَصَتْهُ ناقته: «وكفنوه في ثوبه» وذلك لوجوب ستره في الحياة فكذلك بعد الممات.

من حكمة الصلاة عليه:

شرعت الصلاة على الميت قضاءً لِحَقِّهِ واكراما له وجبرا لقلوب اقاربه لان باجتماع امة صالحة من المؤمنين داعين شافعين للميت له تأثير بليغ في نزول الرحمة عليه وتعرضا لمعاونة الاقارب في الدفن رغب الشارع الحكيم في الوقوف لها الى ان يفرغ من الدفن ونهى عن القعود حتى توضع لقوله ﷺ: (ان الموت فزع فاذا رأيتم الجنازة فقوموا).

حمل الجنازة:

من حكمتها

حمل الجنازة فرض كفاية باجماع الامة ويحملها الرجال ان وجدوا لأن النساء يضعفن عن حملها ولربما ادى ذلك الى كشف شيء منهن لو حملنها. والحكمة في مشروعية ذلك هي طاعة الله تعالى وايجاب لَحِقِّ المسلم بعد موته والبرِّ به واكرامه وجبر لقلوب اقاربه ويسن الاسراع وسطا لا يخل بالميت ولا تلحق الحاملين والمشيعين مشقة لحديث سعيد بن المسيب عند السبعة والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه

قال: «اسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخيرا تقدمونها اليه وان تك سوى ذلك فشرا تضعونه عن رقابكم» ا هـ من (الدين الخالص) بتصرف.

«دفن الميت»

من حكمته:

دفن الميت فرض كفاية بالاجماع لان في تركه على وجه الارض بدون دفن هتكا لحرمته وحرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا كما يتأذى المجتمع من رائحته. وعليه عَمِلَ الناس من لدن ابي البشر عليه السلام الى يومنا هذا.

وقد ارشد الله تعالى قابيل الى دفن اخيه هابيل: «فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليُريهِ كيف يُواري سَوْأَةَ أخيه» وقال تعالى «الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا» اي جامعة للأحياء على ظهرها بالمساكن والاموات في بطونها بالقبور وقال تعالى: «ثم اماته فَأَقْبَرَهَ» اي اكرمه بدفنه كما في تفسيري ابن كثير والبغوي.

من حكمة «التعزية»

التعزية تسلية المصاب وحثه على الصبر والرضى بالقدر فانه لا بد للانسان من الامتثال لامر الله والاجتناب لنهيه

والصبر على اقداره المؤلمة. قال الله تعالى: (فانه من يَتَّقِ ويصبر فان الله لا يُضيع اجر المحسنين).

والتعزية مستحبة لما فيها من التعاطف والتحابب والتعاون على البر والتقوى والتخفيف من آلام المصاب وذلك بِحَثِّهِ على الصبر والرضى بالقدر وامره بالمعروف والنهي عن المنكر والرجوع الى الله تعالى ليحصل له الخير والاجر والسعادة في الدنيا والآخرة والمشروع في التعزية مرة واحدة لقول النبي الكريم ﷺ «التعزية مرة واحدة».

صيغة التعزية:

وتحصل التعزية باي لفظ يتسلى به المصاب ويحمله على الصبر وافضله الوارد من ذلك قوله ﷺ لبعض بناته لما ارسلت اليه تستدعيه ليشهد ابنا لها او بنتا قد احتضر فارسل اليها يقرؤها السلام ويقول «ان لله ما اخذ وما اعطى وكل شيء عنده الى اجل مسمى فلتصبر ولتحتسب» اخرجه السبعة الا الترمذي عن اسامه بن زيد.

هذا ومن اعظم التعزية وافضل عمل لهذه المناسبة اكرام اقارب الميت والتوسعة عليهم بتقديم الطعام لهم مدة التعزية لانهم مشغولون بهذه الفاجعة الاليمة كما في حديث

عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: لما جاء نُعي جعفر حين قتل قال النبي ﷺ: (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد اتاهم ما يشغلهم) اخرجه الامامان احمد والشافعي رحمهما الله وكذا الاربعة الا النسائي وحسنه الترمذي وصححه ابن السكن والحاكم.

لا ما يفعله كثير من الناس في معظم الاقطار الاسلامية من حرصهم على الاجتماع في بيت الميت مدة التعزية واقامة السرادقات واحضارهم القراء ونحرهم للذبائح وايفاد المعزين لتناول الطعام فيشكر منهم من حضر ويلام من لم يحضر ،ويقمن النساء مأتما آخر للعويل والبكاء والنحيب لتجديد الحزن والاسى. فان ذلك او شيئا منه لم يكن من هدي النبوة ولا من عمل الصحابة ولا من المأثور عن التابعين بل لم يكن معروفا عن جمهور المسلمين في الاقطار الاسلامية بهذه الصور الراهنة الى عهد غير بعيد، وانما هو امر استحدث اخيرا ابتداعا لا اتباعا وفيه من المضار ما يوجب النهي عنه.

ففيه اولا - التزام من يقتدى بهم لهذا العمل الامر الذي يظن به انه قربة وبر حتى استقر في اذهان العامة انه

من المشروع في الدين - ثانيا - فيه اضاعة الاموال في غير وجهها المشروع، في حين ان الميت كثيرا ما يكون عليه ديون او حقوق لله تعالى او للعباد لا تتسع موارده للوفاء بها مع تكاليف هذه الاجتماعات والمآتم وقد تكون الورثة في اشد الحاجة الى هذه الاموال ومع هذا يقيمون هذه الاحتفالات والاجتماعات استحياء من الناس ودفعا للانتقاد وكثيرا ما يكون في الورثة قُصَّر يلحقهم الضرر بتبديد اموالهم في هذه البدعة.

ثالثا - فيه مع ذلك تكرير العزاء وهو غير مشروع لحديث: «التعزية مرة واحدة» لهذا وغيره من المفاسد الدينية والدنيوية نهيب بالمسلمين ان يقلعوا عن هذه العادة الذميمة التي لا ينال الميت منها رحمة او مثوبة والحالة هذه بل لا ينال الحي منها سوى المضرة اذا كان القصد مجرد التفاخر والسمعة او دفع الملامة والمعرة وان يعلموا انه لا اصل لها في الدين. قال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال رسول الله ﷺ:

(من عمل عملا ليس عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ). اهـ.

ملخصا من جواب الاستاذ الكبير الشيخ حسنين مخلوف

مفتي الديار المصرية سابقا على سؤال ورده بهذا الصدد هامش (الدين الخالص) للسبكي.

« كتاب الزكاة »

تعريف الزكاة:

الزكاة لغة: الطهارة والنماء، طهارة النفس الدافعة لها من رذيلة البخل والشراهة والقسوة والاثرة والطمع. وطهارة النفس المستحقة لها من ذُلِّ المسألة والدناءة والهوان وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية التي هي مثار الفتن والعداوة اذ الفقر شر ادواء المجتمع لان البطون اذا جاعت دفعت اصحابها الى الاعمال الوحشية وصنوف الجرائم لذا فقد امر الاسلام بالاستعاذة منه: (اللهم اني اعوذ بك من الفقر الا اليك) كما امر بتعاطي اسباب الرزق والتكسب وعدم الركون الى الراحة والتطلع الى ما في ايدي الغير قال تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وقال الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: (لان يحمل الرجل حبلا فيحتطب به ثم يجيء فيضعه في السوق فيبيعه ثم يستغني به فينفقه على نفسه خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه) كما في مسند الامام احمد.

ونماؤها بالزيادة والبركة في المال الذي اخرجت منه قال تعالى: (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وَصَلِّ عليهم ان صلاتك سَكَن لهم).

وفي الحديث الصحيح: (ما نقص مال من صدقة) وقوله ﷺ:

(ان الله يربي الصدقة حتى تكون كالجبل) وفي معناها احاديث كثيرة مصداق ذلك في الكتاب العزيز «من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة» وفي تفسير قوله تعالى: (تطهرهم) قال في (الإحياء): تطهرهم من صفة البخل، لانه من المهلكات كما قال عليه الصلاة والسلام «ثلاث مهلكات: شُحّ مطاع، وهوى متبع، واعجاب المرء بنفسه» رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وابو نعيم والبزار وابو الشيخ في كتابه التوبيخ عن انس كما في شرح الاحياء للمرتضى الزبيدي قال تعالى: «ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فاولئك هم المفلحون» قال: وطهارته له بقدر بَذْلِهِ وبقدر فرحه باخراج الزكاة واستبشاره بصرفها الى الله فتتعود النفس بذل المال اذ حُبُّ الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى تصير عادة وسجية فيها، والزكاة شكر النعمة فان لله على عباده نعما في النفس والمال

فالعبادات البدنية كالصلاة شكر لنعمة البدن والمالية: شكر لنعمة المال اهـ بتصرف.

والاسلام لم يجعل فريضة الزكاة راجعة لهوى الشخص نفسه ان شاء اعطى وان شاء منع بل جعلها اجبارية لقوله ﷺ: «تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم» لانها حق الفقراء مما انعم الله به على الاغنياء كما كان النبي ﷺ يفعل فانه كان يأمر امراءه، ويجمعها من الأغنياء ليردها على الفقراء، وكذلك الامر فيمن بعده حتى اعلن بعض العرب في خلافة الصِّدِّيق منع الزكاة، فتشاور هو والصحابة على قتال مانعيها واجمعوا على ذلك واعدوا العدة وخرجوا اليهم وقاتلوهم قتلة ارجعت للإسلام وحدته وأرست تعاليمه السامية التي جاء بها القرآن الكريم.

هذا ونقل (الغزالي) في كتابه (الاحياء) عن غير واحد من ائمة التابعين مثل النخعي والشعبي وعطاء ومجاهد وغيرهم،ان في المال حقوقا سوى الزكاة، مستدلين بقوله تعالى: «وآتى المال على حُبِّه ذوي القربى واليتامى والمساكين» الآية... وقوله عز وجل: (ومما رزقناهم يُنْفقون) وقوله تعالى: (وأَنْفِقوا مما رزقناكم) قال: والمعنى انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته ويسد

خلّتَهُ فضلا عن مال الزكاة وذلك إما بالقرض أو الصدقة والاحسان، اذ لا يجوز تضييع نفس مسلمة كيف وقد مَهَّد القرآن الكريم لهذا بان جعل الانسان ليس الا خليفة الله تعالى فيما يكون تحت يده من الاموال فتجب اذن تأدية الحقوق الواجبة عليه فيها، وفي هذا يقول تعالى: (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مُسْتَخْلَفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أَجْرٌ كبير).

انه بهذا النظام المالي في الاسلام وبهذه الفكرة الاسلامية في ملكية الاموال والانفاق منها ايجابا او استحبابا في وجوه الخير يتحاب المؤمنون ويقوى بينهم شعور التكافل والتضامن الجماعي، ويتحقق توازنه ذلك التوازن الذي يحفظ لكل فرد من افراد المجتمع الاسلامي، حقه في العمل والرزق الذي يجعله يحيا حياة انسانية كريمة، اما ما تنتهجه بعض الدول من التأميم ومصادرة اموال الاغنياء بحجة مصلحة الفقراء او الدولة باسم الاشتراكية فهذا لم يكن له حظ في التشريع الاسلامي الحكيم اذ لو كان سائغا لعمل به النبي ﷺ حينما كان في امس الحاجة لبناء الدولة الاسلامية في اول ادوار حياتها فقد ورد أنه «ﷺ» احتاج لبعض المال في بعض حروبه من يهودي، ولما فوتح اليهودي في ذلك قال

أغصبا يا محمد؟ قال ﷺ: (لا ولكن قرضا او كما قال ﷺ: فطابت نفس اليهودي واعطاه الذي طلب، وحينما كان صفوة الامة من الصحابة فقراء معوزين لا يجدون قوت يومهم وهم حماة الاسلام وجنوده يقف احدهم للصلاة في الصف الاول فيسقط من الجوع خلف النبي ﷺ في مسجده الشريف مع علمه ﷺ بان هناك الكثير من كبار الصحابة في المدينة المنورة (كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان والزبير بن العوام) وغيرهم كما حدثنا التاريخ عنهم انهم يملكون ملايين الدنانير وآلاف الرؤوس من الخيل والابل والغنم، ولكنه ﷺ مع هذا لم يثبت انه صادر درهما واحدا من اموال هؤلاء الاثرياء المحيطين به ﷺ غير ما امره المولى جل وعلا من اخذه الصدقة الواجبة من المال تطهيرا له.

« خُذْ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وهي جزء بسيط لو صرفت حقا لضمن للفقير حقه من المال، اما زعم الاشتراكيين بانه يجب أن لا يكون في المجتمع فقير او غني فهو تدخل في شئون الخالق وافعاله جلت قدرته ومصادمة لتدبيره وحكمته فهو كفر صريح ومخالفة للمعقول والمنقول قال تعالى: « نحن قَسَمْنَا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم

بعضا سخْرِيّاً ورحمة ربك خير مما يجمعون » ويقول تعالى: « يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراضٍ منكم » فاين هذا من سلب اموال الناس واغتصاب حقوقهم بدون مبرر والنبي ﷺ يقول: « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ».

من حكمة وجوبها في الاجناس الاربعة دون غيرها

اوجب الدين الاسلامي الزكاة للفقراء، وطهرة وتنمية للمال، وعبودية للرب تبارك وتعالى، وتقربا اليه باخراجها وامتحانا باخراج محبوبه له تعالى، وايثار مرضاته. قال ابن القيم رحمه الله: ثم فرضها تعالى على اكمل الوجوه وانفعها للمساكين وارفقها بارباب الاموال ولم يفرضها في كل مال بل فرضها في الاموال التي تحتمل المواساة، ويكثر فيها الربح والدر والنسل، ولم يفرضها فيما يحتاج العبد اليه من ماله، ولا غنى له عنه كعبيده وامائه ومركوبه وداره وثيابه وسلاحه، بل فرضها في اربعة اجناس من المال المواشي والزروع والثمار والذهب والفضة وعروض التجارة، فان هذه اكثر الاموال الدائرة بينهم وعامة تصرفهم فيها وهي التي تحتمل المواساة دون ما اسقط الزكاة فيه ١٠هـ من اعلام الموقعين.

من حكمة مقادير زكاة بهيمة الانعام

بهيمة الانعام انواع ثلاث:

١ - الابل وتشمل البخت (الابل الخراسانية) منها والعراب.

٢ - الغنم وتشمل الضأن والمعز.

٣ - البقر ويشمل الجاموس.

وليس فيما عدا هذه الثلاثة من المواشي زكاة. فلا زكاة في الخيل والبغال والحمير لانها لا نماء لها ولا در ولا نسل ولانها انما خلقت للكر والفر والطلب والهرب واقامة الدين وجهاد اعدائه، فهي قد كانت من آلات السلاح والحرب. «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «اعلام الموقعين» في شأن الحكمة من مقادير الزكاة في المواشي: ثم قسمها (اي الشارع الحكيم) كل جنس من هذه الاجناس بحسب ماله واعداده للنماء الى ما فيه الزكاة والى ما لا زكاة فيه.

فقسم المواشي الى قسمين:

سائمة ترعى بغير كلفة ولا مشقة ولا خسارة، فالنعمة فيها كاملة والمنة بها وافرة، والكلفة فيها يسيرة، والنماء فيها كثير

فخص هذا النوع بالزكاة، والى معلوفة بالثمن او عاملة في مصالح اربابها في دواليبهم وحروثهم وحمل امتعتهم، فلم يجعل في ذلك زكاة لكلفة معلومة وحاجة المالكين الى العوامل فهي كثيابهم وعبيدهم وامائهم وامتعتهم، اهـ. بنصه رحمه الله تعالى.

من حكمة مقادير زكاة الزروع والثمار

فرض الدين الاسلامي الزكاة في المحصولات الزراعية عشرة في المائة ان سقيت من مطر او نهر او عين بدون كلفة ولا مشقة وخمسة في المائة اذا سقيت بها كالسواني والآلات الحديثة. وان اختلف السقي كان الحكم للأغلب واذا تساويا كان الواجب ثلاثة ارباع العشر.

والحكمة في ذلك كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه اعلام الموقعين ان الشارع الحكيم قسم الزرع والثمار الى قسمين: قسم يجري مجرى السائمة من بهيمة الانعام في سقيه من ماء السماء بغير كلفة ولا مشقة فاوجب فيه العشر. وقسم يسقى بكلفة ومشقة ولكن كلفته دون المعلوفة بكثير، اذ تلك تحتاج الى العلف كل يوم، فكان مرتبة بين مرتبة السائمة والمعلوفة، فلم يوجب فيه زكاة ما يشرب بنفسه ولم

يسقط زكاته فاوجب فيه نصف العشرة. اهـ بنصه رحمه الله.

من حكمة مقادير زكاة الذهب والفضة

تجب الزكاة في الذهب والفضة سواء كانا نقدين أم غير من تبر وسبائك اذا مرت عليها سنة قمرية كاملة.. ومقدار الزكاة فيها ربع العشر اي اثنان ونصف في المائة واول حد لنصاب الفضة مائتا درهم وهو ما يعادل ٥٦ ريالا عربيا سعوديا و ٣/١ ٢٣ بالريال الفرنسي وقت كتابة هذا الكتاب.

واول حد لنصاب الذهب عشرون مثقالا او عشرون دينارا منه وهو ما يعادل ٤/٣ «بالجنيه العربي السعودي والافرنجي» وقت كتابة هذا الكتاب.

والنقود التي تكون من غير الذهب والفضة كالعملة المتخذة من النيكل والاوراق المالية بأنواعها واسهم الشركات تجب الزكاة فيها على اساس قيمتها.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في حكمة مقادير زكاة الذهب والفضة ما نصه:(ثم قسم الشارع الذهب والفضة الى قسمين احدهما ما هو معد للثمنية والتجارة به والتكسب

ففيه الزكاة، كالنقدين والسبائك ونحوها والى ما هو معد للانتفاع، دون الربح والتجارة كحلية المرأة وآلات السلاح التي يجوز استعمال مثلها، فلا زكاة فيه. اهـ.

من حكمة زكاة عروض التجارة

عروض التجارة هو ما يعرض للبيع والشراء للربح ما عدا الاثمان، من الحيوان والبضائع العامة، لما روى ابو داود من حديث سمرة قال: اما بعد فان رسول الله ﷺ (كان يأمرنا ان نخرج الصدقة مما نعده للبيع) قاله في كشاف القناع: ونصاب الزكاة فيها ربع العشر اي اثنان ونصف في المائة يقوَّم بما اشتراه به عند تمام الحول ويخرج زكاتها اصلا وربحا والحكمة في ذلك كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

«ان الشارع الحكيم قسم العروض الى قسمين: قسم اعد للتجارة، ففيه الزكاة، وقسم اعد للقنية والاستعمال، فهو معروف عن جهة النماء فلا زكاة فيه. ثم لما كان حصول النماء والربح بالتجارة من اشق الاشياء واكثرها معاناة وعملا خففها بان جعل منها ربع العشر، ولما كان الربح والنماء بالزروع والثمار التي تسقى بالكلفة اقل كلفة والعمل ايسر

ولا يكون في كل السنة، جعله ضعفه وهو نصف العشر ولما كان التعب والعمل فيما يشرب بنفسه اقل والمؤنة ايسر جعله ضعف ذلك وهو العشر. واكتفى فيه بزكاة عامة وخاصة فلو اقام عنده بعد ذلك عدة احوال لغير التجارة لم يكن فيه زكاة لانه قد انقطع نماؤه وزيادته بخلاف الماشية وبخلاف ما لو اعد للتجارة فانه عرضة للنماء. اهـ.

من حكمة زكاة الركاز والمعادن

ما يستخرج من باطن الارض من معادن كالبترول وغيره[1] يكون ملكا لبيت مال المسلمين. أما الكنوز التي ثبت انها وضعت في باطن الارض قبل الاسلام فيؤخذ منها الخمس والباقي لواجده، والكنوز الاسلامية التي ثبت انها وضعت في باطن الارض بعد ظهور الاسلام تكون ملكا للدولة الا اذا عرف ملاكها، فانها تكون لهم. قاله في كتاب (روح الدين الاسلامي) هذا ولما كان الركاز مالا مجموعا محصلا وكلفة تحصيله اقل من غيره كان الواجب فيه ضعف واجب عروض التجارة وهو الخمس.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (انظر الى تناسب

---

(١) كالذهب والفضة والنحاس وغيرها.

هذه الشريعة الكاملة التي بهر العقول حسنها وكمالها ،وشهدت الفطر بحكمتها ، وانه لم يطرق العالم شريعة افضل منها ، ولو اجتمعت عقول العقلاء وفطر الالباء واقترحت شيئا يكون احسن مقترح لم يصل اقتراحها الى ما جاءت به .

قال: لما لم يكن كل مال يحتمل المواساة ، قدر الشارع لما يحتمل المواساة نصبا مقدرة لا تجب الزكاة في اقل منها . ثم كانت تلك النصب تنقسم الى ما لا يجحف المواساة ببعضه اوجب الزكاة منها ، والى ما يجحف المواساة ببعضه فجعل الواجب من غيره كما دون الخمس والعشرين من الابل ثم لما كانت المواساة لا تحتمل كل يوم ولا كل شهر ، اذ فيه اجحاف بأرباب الاموال ، جعلها كل عام مرة كما جعل الصيام كذلك ، ولما كانت الصلاة لا يشق فعلها كل يوم وظفها كل يوم وليلة ولما كان الحج يشق تكرر وجوبه كل عام جعله وظيفة العمر اهـ بنصه .

من حكمة فرضية الزكاة في نوع دون نوع

انت ترى ان الدين الاسلامي قد فرض الزكاة في انواع مخصوصة ،واسقطها في انواع اخرى مما يمكله الانسان وذلك لحكمة بالغة الا وهي الرأفة والرحمة والشفقة بمخرجها فاين

هذا من اغتصاب اموال الناس ظلما وعدوانا باسم الاشتراكية العربية، والنبي الكريم ﷺ يقول: (ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الى يوم تلقون ربكم) رواه الامامان البخاري واحمد؛ ويقول ﷺ: (لا يحل لامرىء ما أعطاه من طيب نفس) رواه البيهقي ويقول لا يحل لامرىء أن يأخذ عصا اخيه بغير طيب نفسه) رواه البيهقي قال في اعلام الموقعين: واذا تأمل العاقل مقدار ما اوجبه الشارع في الزكاة وجده مما لا يضر المخرج فقده، وينفع الفقير اخذه، ورآه قد راعى فيه حال صاحب المال وجانبه حق الرعاية، ونفع الآخذ به قصد الى كل جنس من اجناس الاموال، فأوجب الزكاة في اعلاه واشرفه؛ فأوجب زكاة العين في الذهب والورق دون الحديد والرصاص والنحاس ونحوها، واوجب زكاة السائمة في الابل والبقر والغنم دون الخيل والبغال والحمير ودون ما يقل اقتناؤه كالصيود على اختلاف انواعها ودون الطير كله واوجب زكاة الخارج من الارض في اشرافه وهو الحبوب والثمار دون البقول والفواكهه والمقاتي والمباطخ والانوار (الازهار) وغير خاف تميز ما أوجب فيه الزكاة عما لم يوجبها في جنسه ووصفه ونفعه وشدة الحاجة اليه وكثرة وجوده،

وانه جار مجرى الاموال لما عداه من اجناس الاموال بحيث لو فقد لأضر فقده بالناس وتعطل عليهم كثير من مصالحهم بخلاف ما لم يوجب فيه الزكاة فانه جار مجرى الفضلات والتتمات التي لو فقدت لم يعظم الضرر بفقدها، وكذلك راعى للمستحقين لها امرين مهمين احدهما حاجة الآخذ والثاني نفعه فجعل المستحقين لها نوعين: نوعاً يأخذ لحاجته ونوعا يأخذ لنفعه، وحرمها على من عداهم. اهـ بنصه.

من حكمة اسقاط الزكاة في الخيل والبغال والحمير

لا تجب الزكاة في الخيل لانها تتخذ للجهاد والحرب لاعلاء كلمة الله: فهي بمنزلة العتاد والسلاح وآلات الحرب كما لا تجب في البغال والحمير لانها يتقتنى للحاجة والحمل ولانها لا نماء لها ولا در ولا نسل الا اذا اتخذت للاستغلال والتجارة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه اعلام الموقعين ج ٢ ص ٨٩: (والفرق بين الخيل والابل ان الخيل تراد لغير ما تراد له الابل، فان الابل تراد للدر والنسل والاكل وحمل الاثقال والمتاجر وللانتقال عليها من بلد الى بلد. اما الخيل فانما خلقت للكر والسعي والطلب والهرب واقامة الدين وجهاد اعدائه.

وللشارع قصد أكيد في اقتنائها وحفظها والقيام عليها وترغيب النفوس في ذلك بكل طريق، ولذلك عفا عن اخذ الصدقة منها ليكون ذلك ارغب للنفوس فيما يحبه الله ورسوله من اقتنائها ورباطها وقد قال تعالى:

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الآية فرباط الخيل من جنس آلات السلاح والحرب فلو كان عند الرجل منها ما عساه ان يكون، ولم يكن للتجارة لم يكن عليه فيه زكاة، بخلاف ما اعد للنفقة، فان الرجل اذا ملك منه نصابا فيه زكاة وقد اشار النبي ﷺ الى هذا بعينه في قوله: «قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة» افلا تراه كيف فرق بين ما اعد للانفاق وبين ما اعد لإعلاء كلمة الله ونصر دينه وجهاد اعدائه؟ فهو من جنس السيوف والرماح والسهام واسقاط الزكاة في هذا الجنس، من محاسن الشريعة وكمالها ١هـ. بنصه.

من حكمة صرف الزكاة لمستحقيها

لم يترك الدين الاسلامي امر الزكاة الى تقدير ولي الامر بل تولى بيان الجهات التي تصرف اليها ووضحها بنص التنزيل الذي لا يقبل التأويل قال الله تعالى: (انما الصدقات

للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرِّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »

فالفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على التكسب، فيعطى من الزكوات ليسد به خلته، هو ومن يعولهم وليترفعوا عن اراقة ماء الوجه، وذل المسألة، لان ذلها اشد صعوبة على النفس في هذه الحياة اعاذنا الله واخواننا منها.

والمسكين: هو الذي لا يفي دخله بمخرجه، وهو المتعفف الذي لا يسأل الناس الحافا، كما في الحديث المتفق عليه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف).

اقرأوا ان شئتم: (لا يسألون الناس الحافا) فهذا يعطى من الصدقة ليسد به حاجته ومن يعولهم ايضا حفظا على كرامته من ذل المسألة، وتوسيعا عليه بما ضاق به من امر المعيشة في هذه الحياة.

العامل: هو الساعي والجابي للزكوات وليس له مرتب رسمي معلوم في ميزانية الدولة فهذا الصنف يعطى من

الزكوات وان كان غنيا اجرة له على قيامه بالجباية بامانة واخلاص ولئلا تتعطل المصلحة بالخيانة والاهمال.

اما المؤلفة قلوبهم على الاسلام وهم: الاشراف والرؤساء الذين اسلموا: والمطاعون في قبائلهم وعشائرهم. وفي اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم واتباعهم فيه.

وفي الرقاب: هم المكاتبون الذين حاولوا او يحاولون التخلص من الرق والعبودية من ساداتهم فيدفع لهم من الزكاة. لاجل ذلك.

والغارمون: هم من استدانوا واستقرضوا لامر واجب كالانفاق على انفسهم وعوائلهم او لامر مباح او مستحب كاطفاء فتنة واقعة بين طائفتين لا تبقى ولا تذر.

(وفي سبيل الله) هم الغزاة الذين ليس لهم مرتب رسمي في ديوان الموظفين فيصرف لهم منها وان كانوا اغنياء اعانة لهم وتشجيعا على مرابطتهم في وجه العدو.

الثامن والاخير (ابن السبيل): وهو المسافر في غير معصية وقد انقطع عن بلده، ولم يجد ما يوصله، فيعطى بقدر ما يبلغه اليه، هذا ان كان فقير الحال، أما اذا كان غنيا فيعطى من بيت المال قرضا ليسترده عند رجوعه الى

اهله وذويه والله أعلم، ومن هذا نستطيع ان نؤكد ان المسلمين او بعبارة اصح ان الحكومات الاسلامية لو عملت بما شرعه الاسلام من تحصيل فريضة الزكاة واعطائها لمستحقيها لما بقي محتاج يمد يديه للسؤال ولضمن لهم حفظ التوازن بين طبقات الامة الاسلامية، لان الزكاة نظام اجتماعي سبق الاسلام به العالم الى وضعه، ولما كانت اشتراكية ماركسية ولا عربية شيوعية، اللهم اهد المسلمين الى ما فيه سعادة دينهم ودنياهم ونور بصائرهم للعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خلاصة الكلام في حكمة الزكاة

وبالجملة فان هدية صلى الله عليه وسلم في الزكاة أكمل هدي في وقتها - وقدرها - ونصابها - ومن تجب عليه - ومصرفها، وراعى فيها مصلحة أرباب الأموال ومصلحة المساكين وجعلها الله سبحانه وتعالى طهرة للمال ولصاحبه وقيد النعمة به على الأغنياء، فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته، بل يحفظه عليه وينميه له ويدفع عنه بها الآفات، ويجعلها سوارا عليه وحصنا له وحارسا له.

ثم انه جعلها في أربعة أصناف من المال وهي اكثر الاموال دورا بين الخلق وحاجتهم اليها ضرورية: (احدها) الزرع والثمار (الثاني) بهيمة الانعام - الابل - البقر - الغنم (الثالث) الجوهران اللذان بهما قوام العالم وهما الذهب والفضة (الرابع) أموال التجارة على اختلاف أنواعها.

ثم انه أوجبها مرة كل عام،وجعل حول الزرع والثمار عند كمالها واستوائها،وهذا أعدل ما يكون اذ وجوبها كل شهر أوكل جمعة يضر، بأرباب الأموال ووجوبها في العمر مرة، يضر بالمساكين.

ثم انه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعي أرباب الأموال في تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته،فأوجب الخمس فيما صادفه الانسان مجموعا محصلا من الأموال والركاز، ولم يعتبر له حَوْلاً بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به، وأوجب نصفه وهو العشر فيما كانت مشقة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك، وذلك في الثمار والزروع التي يباشر حرث أرضها وسقيها وبذرها ويتولى الله سقيها من عنده بلا كلفة من العبد ولا شراء ماء ولا إثارة بئر ودولاب، وأوجب نصف العشر فيما تولى العبد سقيه، بالكلفة والدوالي والنواضح وغيرها، وأوجب نصف ذلك وهو ربع العشر فيما كان النماء

فيه موقوفا على عمل متصل من رب العمل بالضرب في الأرض تارة، وبالادارة تارة وبالتربص تارة.

ولا ريب أن كلفة هذا أعظم من كلفة الزرع والثمار، وأيضا فان نمو الزرع والثمار أظهر واكثر من نمو التجارة، فكان واجبها اكثر من واجب التجارة وظهور النمو فيما يسقى بالسماء و لأنها أكثر مما يسقى بالدوالي والنواضح وظهوره فيما وجد محصلا مجموعا كالكنز أكثروأظهر من الجميع.

ثم انه لما كان لا يحتمل المواساة كل مال وان قل جعل للمال الذي يحتمل المواساة نصبا مقدرة، المواساة فيها لا تجحف بأرباب الأموال، وتقع موقعها من المساكين، فجعل للوَرِق مائتي درهم، وللذهب عشرين مثقالا، وللحبوب والثمار خمسة أوسق وهي خمسة أحمال من أحمال ابل العرب، وللغنم أربعين شاة وللبقر ثلاثين، وللابل خمسا ،لكن لما كان نصابها لا يحتمل المواساة من جنسها أوجب فيها شاة، فاذا تكرر الخمس خمس مرات، وصارت خمسا وعشرين، احتمل نصابها واحدا منها، فكان هو الواجب ثم انه لما قدر سن هذا الواجب في الزيادة والنقصان بحسب كثرة الإبل وقلتها من ابن مخاض وبنت مخاض وفوقه ابن لبون وبنت لبون،

وفوقه الحق والحقة، وفوقه الجذع والجذعة وكلما كثرت الابل زاد السن الى منتهاه فحينئذ جعل زيادة عدد الواجب في مقابلة زيادة عدد الاموال، فاقتضت حكمته تعالى أن جعل في الأموال قدرا يحتمل المواساة ولا يجحف بها ويكفي المساكين ولا يحتاجون معه الى شيء، ففرض في اموال الأغنياء ما يكفي الفقراء فوقع الظلم من الطائفتين -أ- الغني يمنع ما وجب عليه - ب - والآخذ يأخذ ما لا يستحقه، فتولد من بين الطائفتين ضرر عظيم على المساكين وفاقة شديدة أوجبت لهم أنواع الحيل والالحاف في المسألة: اهـ من زاد المعاد للعلامة ابن القيم رحمه الله، وفي موضوع الحكمة في صرفها لمستحقيها يقول رحمه الله تعالى:

والرب سبحانه تولى قسمة الصدقة بنفسه وجزَّأها ثمانية أجزاء يجمعها صنفان من الناس أحدهما:من يأخذ بحاجته، فيأخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل،والثاني:من يأخذ لمنفعته وهم العاملون والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة في سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة اهـ.

من حكمة تحريم الصدقة على النبي وأهل بيته

يقول المصطفى ﷺ: (لا تحل الصدقة لآل محمد انما هي اوساخ الناس) رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة ورواه الامام احمد والطحاوي كما في اتحاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدي نقلا عن الزين العراقي، وذلك لان الزكاة طهارة معنوية لأدران الذنوب وأوساخ المعاصي كما هو مفهوم من منطوق آية الزكاة الكريمة اذ هذا لا يليق باشرف الخلق وسيدهم على الاطلاق، ولا بآل بيته، ولأنه صفوة الامة وقدوتها في امور دينها ودنياها فاذا اخذ الزكاة اقتدى به كثير من الناس وبذلك يحصل التكاسل عن مباشرة الاعمال والاخذ في اسباب المعاش وتتعطل المصالح ويكثر العاطلون ويختل نظام العمران. ولكونه عليه الصلاة والسلام غني النفس شريف الذات وحتى لا يتقول المتقولون اعداء الدين الاسلامي وأهله بان الرسول ﷺ لا هم له سوى اطعام نفسه واهل بيته، لذا فقد اوضح المولى جلت قدرته وعظمت حكته في هذه الآية الكريمة: (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) الى انه ﷺ ليس له أجر ولا جزاء يقتضيه من امته على تبليغ الرسالة سوى الجزاء الأوفى من الرب الاعلى والمحبة الصادقة والموالاة لآل بيته

وذوي قرباه الذين اتبعوا النور الذي انزل معه، اولئك هم المفلحون، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ورضي الله عن اتباعه واتباع امته وحشرنا في زمرتهم اجمعين.

من حكمة زكاة الفطر

روى ابو داود وابن ماجة والدارقطني وصحح الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين..) الحديث. قال صاحب المرقاة في شرح المشكاة قال ابن تيمية: المراد بصدقة الفطر صدقة النفوس مأخوذة من الفطرة التي هي الخلقة المرادة بقوله تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) والمعنى انها وجبت على الخلقة تزكية للنفس اي تطهيرا لها. اهـ.

هـذا معنى اضافة الزكاة للفطرة، اما الحكمة من مشروعيتها فهي صريحة واضحة في الحديث الشريف حيث يقول: (طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين) فهي مكملة لما يعتري الصوم من نقص بسبب ما يرتكبه المرء من لغو الكلام ولغو الفعل الذين قد ينقص اجر الصوم

وثوابه بها لهذا شرعت هذه الصدقة كما ان من حكمتها ايضا هي ان الصائم بامتناعه عن الطعام طاويا طوال النهار فقد ذاق مرارة الجوع وعرف شدة الظمأ لهذا فهو يطعم الفقير والمسكين في هذا اليوم المبارك شكرا لله تعالى على نعمة الغنى، كما ان اعطاءه زكاة الفطر للمحتاجين والمعوزين رفعا لمشقة الجوع وتخفيفا للتأثير الذي يكون في نفس الفقير وهو يرى غيره في هذا اليوم في زينة من الملبس وسعة من المطعم. والله اعلم.

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (اعلام الموقعين (ج ٣ ص ٢٣ في)موضوع صدقة الفطر وانها تتعين في نوع دون نوع ما نصه: (فصل) المثال الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير او صاعا من زبيب أو صاعا من أقط ،وهذه كانت غالب اقواتهم بالمدينة ،فاما اهل بلد او محلة قوتهم غير ذلك فانما عليهم صاع من قوتهم ،كمن قوتهم الذرة او التين أو غير ذلك من الحبوب ،فان كان قوتهم من غير الحبوب كاللبن واللحم والسمك اخرجوا فطرتهم من قوتهم كائنا ما كان؛ هذا قول جمهور العلماء وهو الصواب الذي لا يقال بغيره اذالمقصود سد خلة المساكين يوم العيد ومواساتهم من جنس

ما يقتاته اهل بلدهم، وعلى هذا فيجزىء اخراج الدقيق وان لم يصح فيه الحديث. واما اخراج الخبز والطعام فانه وان كان انفع للمساكين لقلة المؤنة والكلفة فيه فقد يكون الحب انفع لهم لطول بقائه، فانه يتأتى منه ما لا يتأتى من الخبز والطعام ولا سيما إذا كثر الخبز والطعام عند المسكين فانه يفسد ولا يمكنه حفظه. وقد يقال: لا اعتبار بهذا فان المقصود إغناؤهم في ذلك اليوم العظيم عن التعرض للسؤال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اغنوهم في هذا اليوم عن المسألة) انما نص على تلك الأنواع المخرجة لان القوم لم يكونوا يعتادون اتخاذ الاطعمة يوم العيد بل كان قوتهم يوم العيد كقوتهم سائر السنة ولهذا لما كان قوتهم يوم عيد النحر من لحوم الاضاحي امروا ان يطعموا القانع والمعتر فاذا كان اهل بلد او محلة عادتهم اتخاذ الاطعمة يوم العيد جاز لهم بل يشرع لهم ان يواسوا المساكين من اطعمتهم فهذا محتمل يسوغ القول به والله اعلم اهـ.

من اسرار الصوم

الرابع من اركان الاسلام الصوم وهو لغة: مطلق الامساك والكف عن أي شيء كان، وشرعا: الامساك عن الاكل والشرب والجماع والاتصال الجنسي، من الفجر الى

الغروب، ابتغاء مرضاة الله تعالى والاصل في فريضته قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) الى قوله: (لعلكم تشكرون) ومن السُّنة حديث: (بنى الاسلام على خمس) «شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا» اعظم الله على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان، وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا منيعا لاوليائه، وجُنَّةً يتقي بها المسلم شر عدوه اللدود الشيطان الرجيم، بالصوم يضيق الخناق على الشيطان الذي يجرى من ابن آدم مجرى الدم فلا يدعه ينفذ اليه بحال من الاحوال، مصداقه ما روى البخارى ومسلم من حديث صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» اذ الدم يتولد من الطعام والشراب فاذا أكل المرء وشرب اتسعت مجاري الشيطان وقويت دواعي الشهوة. لذا فقد شرعت هذه العبادة لفوائد جمة واسرار عظيمة تضاءلت دونها اقلام البلغاء من الكتاب، وافكار العلماء والحكماء من أُولي الالباب، والكاتب في هذا الموضوع انما يكتب بقدر ما وقف عليه في مظانه من اسفار العلماء ما توصل اليه الفكر

واهتدى العقل اليه في كل زمان ومكان لذا فنقول وبالله المستعان: قال في كتاب اتحاف السادة المتقين شرح الإحياء شرعه الله سبحانه وتعالى لفوائد اعظمها كونه موجبا لسكون النفس الامارة بالسوء، وكسر سورتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والاذن والفرج فان به تضعف حركة كل تلك في محسوساته ولذا قيل: اذا جاعت النفس شبعت جميع الاعضاء، فاذا شبعت جاعت كلها .وعلى هذا يترتب صفاء القلب من الكدر فان الموجب لكدوراته فضول اللسان والعين وباقي الجوارح وبصفائه تناط المصالح والدرجات اهـ.

وفي كتاب حكمة التشريع نقلا عن بعض الكتب ان الحكماء والفلاسفة واهل الزهد والعبادة في قديم الزمان وحديثه، اذا أرادوا تأليفا في علم أو اختراع أو اداء عبادة حبسوا البطن عن الاكثار من الطعام حتى تكون لهم قدرة في تأدية ما يريدون لهذا فقد قيل من جاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه اهـ.

وهذا يدل على عظم فضل الصوم وانه رياضة نفسانية وفكرية بجانب أنها عبادة روحية، كما أن الصلاة رياضة بدنية بجانب كونها روحية، ومنها كونه موجبا للرحمة

والعطف على الفقراء والمساكين، فاذا ذاق الغنيُّ الم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا حاله في جميع الاوقات فتسارع اليه الرقة والرحمة عليه فيعطف عليه. ويمد يد العون والمساعدة اليه فيدفع الفاقة والحاجة عنه بالاحسان اليه، فينال بذلك ما عند الله تعالى من المثوبة وحسن الجزاء. ومنها موافقة الفقراء في حالهم هذا فان الغني يتحمل ما يتحمله الفقير وهذه هي المساواة الحقة التي نادى بها الاسلام ووثقها بعرى متينة من التقوى والايمان ليتحقق معنى الحرية والاخاء والعطف، وتظهر المحبة والسلام بين افراد المجتمع الاسلامي ويصبح الجميع بنعمة الله اخوانا لا ما تترنم به المدنية الغربية والشرقية الزائفة التي لا هم لها سوى المادة ولا شيء غيرها. ومنها كونه سببا للمحافظة على الامانة وعدم تضييعها وذلك ان من امسك عن الطعام والشراب وكل مفطر طوال النهار فقد التزم بالامانة التي اودعها الله اياه، فاذا ما خلا الانسان بنفسه في مكان منفرد، وقد بلغ به الجوع والظمأ ما بلغ، واطاع نفسه الامارة بالسوء بالاكل والشرب حيث لا رقيب في الحس عليه فقد خان الامانة وحقت عليه كلمة العذاب، وغير خافية عقوبة الخائن في الدنيا والاخرة، وقد صرح الحديث

النبوي الشريف بان الصوم امانة في قوله صلى الله عليه وسلم:

«انما الصوم أمانة فليحفظ احدكم أمانته» رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود واسناده حسن، قاله العراقي في تخريج احاديث الاحياء كما في الاتحاف.

ثم ان الصوم يتميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان والاعمال اذ يقول تعالى فيما يرويه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعفٍ الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به..».

الحديث.. متفق عليه عن ابن هريرة رضى الله عنه

وفي حكمة التشريع: قال بعض افاضل العلماء: - ان في الصوم تقوية الارادة، وتغليب حكم العقل على الشهوة، فاذا ارتاض الانسان بذلك ارتياضا تاما، واصبح السلطان للعقل لا للهوى كان ذلك من قوة العزيمة ما يصير به من خير الناس.

ثانيا: فيه مراقبة الله تعالى والحياء منه، فانك كلما اشتهيت شيئا وانت صائم تركته لله عز وجل فتتربى فيك

ملكة المراقبة لله جل وعلا ويقوى فيك الاحساس بعظم الوهيته وملاحظة اطلاعه عليك، لو تملكت هذه المراقبة نفوس الناس جميعا لما وجد شيء من الجرائم ولما استعبد القوي الضعيف، ولأصبحت الدنيا تماثل الفردوس في هنائها وصفائها وطهارة القلوب فيها.

ثالثا: التفكير بحال الفقراء حتى تواسيهم وتشفق عليهم وليس يعرف حال المضطر الا من اصابه الاضطرار، ولا يحس بـ عند الجائع الا من كان جائعا، ولا يدرك للألم ذوقا ووجداناً الا من كان في شدة، وقد قيل لبعض الملوك الذين يهمهم امر الرعية: لماذا تجوع؟ فقال: لاذكر الجائعين.

رابعا: معرفتك نِعَمَ الله معرفة صحيحة فان الشيء لا يعرف حقا الا عند فقده.

ولذلك كان المريض يعرف من فضل الصحة ما لا يعرفه الصحيح، فالاشياء لا تزال مغفولا عنها، حتى اذا فقدت عرفت قيمتها، فالنفس لا تعرف مقدار ما كانت فيها من الملاذّ الا اذا حبست حبسا طبيعيا او صناعيا.

خامسا: معرفتك ضعفك وحاجتك، ومن عرف ضعفه واحتياجه زالت عنه الكبرياء الكاذبة التي لا تليق بمن اذا

اخرت عنه شربة ماء ذل وضعف وزالت منه الانانية التي يريد بها ان يكون إلها لا عبدا، وما اضعف عبدينفعل من أجل أكلة او شربة؟ فيعرف الانسان قدره بهذا. ورحم الله امرأ عرف قدره فيتأدب مع الله ومع خلق الله.

سادسا: ان النفوس متى قويت بشهواتها طغت (إن الانسان ليطغى ان رآه استغنى) فاذا منعت عنها شهواتها خمدت ومتى خمدت رجعت الى الله تعالى، واحست احساسا صحيحا، وكذلك تجد نفس المريض راجعة الى الله تعالى متعلقة به بخلاف نفس الصحيح، وتجد فرقا كبيرا بين نفس الفقير الهامدة الخامدة التي ترجع الى الله دائما وبين نفس الملك والوزير وذي الجاه والثروة، ودواء النفوس وسعادتها انما هو في التعلق بالله لانه لا غنى عنه (يأيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد).

سابعا: ان في الصوم تشبيها بالروحانيين من ملائكة الله المقربين، فلا تكن مشغولا بنفسك طول يومك اذا كنت صائما بل بالله تعالى، كن ذاكرا ومسبِّحاً ومقدسا او مصلياوقارئا او مفكرا في خلق السموات والارض او في مصالح العباد وعلى كل حال فالصائم ليس لنفسه صام، وانما هو لربه. والصوم شبح وروح فاجتهد ان تفوز من الصوم

بسره وروحه لا بشبحه وظاهره وعلى قدر ما تبتعد عن شهواتك والاشتغال بنفسك كالاطفال والجهال على قدر ما تلتحق بالملأ الأعلى. وعلى قدر ما تكون مستعبداً للشهوات منغمسا في حماة الماديات تكون المناسبة بينك وبين الشياطين، وبقدر المناسبة يكون الانجذاب بين المتنافسين.

ثامنا: ما في الصوم من الفوائد الطبية الجليلة فان المعدة بيت الداء والْحِمْيَةُ رأس الدواء وكل من الاعضاء يجب ان يستريح وقتا من الاوقات فلماذا لا تستريح المعدة كما يستريح غيرها؟ وقد قال بعض الاطباء: ان الصوم امان من كثير من الامراض المزمنة والمتنقلة، ولا سيما السل والسرطان الجلدي والدملى الذي فشا في اوربا جدا وذهب ضحيته الوف كثيرة في سنة واحدة أخذا من الاحصائيات الاخيرة في باريس اهـ.

من حكمة التشريع

وفي حكم الصوم وفوائده يقول العلامة الزرقاني رحمه الله ما نصه:

شرع الصيام لفوائد اعظمها؛ كسر النفس وقهر الشيطان فالشبع نهر في النفس يَرِدُهُ الشيطان، والجوع نهر في الروح

ترده الملائكة. ومنها ان الغني يعرف قدر نعمة الله عليه باقداره على ما منع منه كثير من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح، فان بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به متى منع ذلك على الاطلاق فيوجب شكر نعمة الله عليه بالغنى ويدعوه الى رحمة اخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك. اهـ

ومن اسرار الصوم الجليلة ان من اسمائه الصبر « واستعينوا بالصبر والصلاة » لانه ضرب من الزهد، وقمع للنفس، وقهرها على الم الصبر على الجوع والظمأ فمن استطاع قمع نفسه، ومنعها عن الاكل والشرب، استطاع منعها من الاجرام وارتكاب المحرمات اذ الصوم يكسر من شَرَهِ النفس، ويخفف غليانها. هذه بعض اسرار الصوم اخترناها من كثير فاعرفها جيدا علك تظفر يا اخي بسلام.

من آداب الصيام

ليعلم المسلم الكريم ان للصوم شروطا وآدابا تجب ملاحظتها والعمل بها، والا لم يكن للصائم حظه من صومه سوى الجوع والظمأ، فمنها:

اولا- غض النظر عن الاسترسال في النظر الى ما يشغل

القلب عن ذكر الله تعالى وما ينسيه ذكر الآخرة وما خُلِقَ له. (فان النظرة سهم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل ايمانا يجد حلاوته في قلبه) رواه الحاكم وصحح اسناده من حديث حذيفة رضى الله عنه.

ثانيا- حفظ اللسان عن النطق بالفحش والبذاءة والهذيان والكذب والغيبة والنميمة وكل عمل مشين، والتزام السكوت وعدم النطق الا في الخير وذكر الله تعالى والاشتغال بتلاوة القرآن الكريم.

ثالثا- كف السمع عن الاصغاء الى كل ما يحدث السماع اليه كالطرب والخوض في اعراض الناس اذ المغتاب والمستمع شريكان في الاثم.

رابعا- تناول الطيب الحلال في المأكل والمشرب والملبس في كل وقت وحين، لاسيما اذا كان متلبسا بهذه العبادة العظيمة.

خامسا-ان لا يكثر من الطعام وقت تناوله الافطار بحيث يمتلىء جوفه، فتهيج النفس البهيمة في المرء فتنبعث فيها الشهوة الراكدة الخامدة طوال النهار

اثناء الصيام لان من اسرار الصوم اضعاف القوى الكامنة في النفس، والتي هي من وسائل الشيطان.

سادسا- ليكن المرء بعد اي عبادة من العبادات دائما بين منزلة الرجاء والخوف، لانه لا يدري هل قبل صيامه ام رد. اهـ من كتاب (الاحياء).

من حكمة صوم التطوع

يقال في ذلك ما قيل في الصلوات المسنونة من انها كفارات وجوابر لما حصل من نقص فيها فكذلك صوم التطوع فانه شرع مكملا للغرض وقياما بما يريده الشارع سدا لما عساه ان يقع من خلل ونقص في الواجب منه.

وجاء في حكمة التشريع:

اعلم ان الانسان اذا ادى ما عليه من الفرائض يجوز ان يقع منه بعض هنات وهفوات، لا تبطل الغرض، ولكن تجعله غير مستوف للشروط التي يريدها الشارع الحكيم فتكميلا للغرض وقياما بما يريده الشارع سدا لما عساه ان يقع من الخلل، سن الشارع صوم ايام التطوع، حتى يكون الصوم الواجب ممحصا خالصا من كل شائبة. هذا على وجه العموم، وهناك أمر آخر. يستحب فيه الصوم لحكمة

ارادها الشارع الحكيم، فمنها صوم يوم عرفة حتى يكون الصائم فيه مفكرا في هؤلاء القوم الذين يقفون في صعيد واحد يلبون ويطلبون من الله المغفرة والرحمة فيتشوق الى تلك الاماكن الطاهرة المقدسة، وبذلك يكون مشاركا للحجاج في ثوابهم والرحمات التي تنزل عليهم وينال من هذا الثواب العظيم والاجر الجزيل. ومنها صيام يوم عاشوراء وهو اليوم الذي نصر الله فيه نبيه موسى الكليم عليه السلام شكرا لله تعالى على ذلك النصر فمن صامه فقد شارك في الشكر واغتنم الاجر.

ومنها صومه ستة ايام من شوال والايام البيض لفضلهن كما ورد به الحديث الشريف الذي يقول: (من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر كله).

رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ومسلم ومالك في الموطأ عن أبي ايوب.

فهذه الايام بمنزلة الرواتب من الفرائض لتمحص صوم رمضان من كل خلل يحدثه الصائم، وانما كان صومه كصيام الدهر كله لانها هي ورمضان ستة وثلاثون يوما والله سبحانه وتعالى جعل الحسنة بعشرة امثالها، فاذا ضربنا عشرة في ستة وثلاثين كان حاصل الضرب ثلاثمائة وستين

يوما وهو مجموع ايام السنة ، ولقد كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يكثرون من صيام التطوع ،فقد كان سيدنا نوح عليه السلام يصوم الدهر كله ، وسيدنا داود يصوم يوما ويفطر يوما وسيدنا عيسى يصوم يوما ويفطر يومين ، ونبينا محمد ﷺ يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم الى ان قال: فالانسان بصيامه التطوع يكون متبعا لسنة الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. ا هـ.

من حكمة جواز الفطر في السفر

من لطف الله وحكمته ورحمته بعباده لم يجعل عليهم في دينه حرجا ومشقة بل شرعة على اكمل الوجوه التي بها قوام حياتهم وانتظام امورهم، فلما كان المسافر يعاني من وعثاء السفر ، وفراق الأهل والوطن ويكابد من المشاق خفف الله عليه اداء الفريضة في الصلاة ولم يكلفه بالصوم في السفر اذ الحالة في الحضر تختلف عنها في السفر ،ولان الصوم عبادة يتعذر اداؤها في وقت السفر غالبا ، ناسب ان يفطر ويقضيه عند رجوعه من السفر ووصوله الى الوطن؛ قال تعالى: « فمن كان منكم مريضا او على سفر فَعِدَّة من ايام اخر »

وفي الحديث الذي رواه احمد واصحاب السنن الاربعة

بسندٍ صحيح عن انس ابن مالك: «ان الله عز وجل وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم أو الصيام»

من حكمة تحريم الصوم في يومي العيدين وايام التشريق

لما كان هذان اليومان يومي فرح وزينة وبهجة وسرور وتزاور بين المسلمين، واعطاء للنفس قسطا من حقها من الراحة والإستجمام حرم الشارع الحكيم الصوم فيها، ولانها من المؤتمرات السنوية، يتباحث فيها المسلمون مشاكلهم الدينية والدنيوية، وكذلك حرم صوم أيام التشريق الثلاثة لانها أيام أكل وشرب وذكر لله كما ورد بذلك الحديث الصحيح: «عن سعد بن ابي وقاص عن ابيه عن جده، قال: امرني رسول الله ﷺ أن انادي ايام منى (انها ايام اكل وشرب فلا صوم فيها) يعني ايام التشريق؛ اخرجه احمد والبزار بسند رجاله رجال الصحيح.

وقال في كتاب حكمة التشريع:

اعلم ان الشارع الحكيم حرم علينا الصوم في يومي العيـدين لان المسلم فيهما يكون في مظهر من السرور والانشراح واعطاء النفس قسطها من الراحة ومباشرة بعض

الملاذ التي لم ينه عنها الشارع الحكيم وايضا يكون الانسان ظاهرا بمظهر الجود والكرم على الفقراء والمساكين فاذا صام الانسان يومي العيدين لم يحصل على هذه المزية التي اقل ما فيها من الفائدة انها تمرن على الجود والكرم وقد اوضح المصطفى ﷺ الحكمة من تحريم صوم هذين اليومين - اعني يوم الاضحى يوم الفطر - ففي صحيحي البخاري ومسلم وسنن النسائي وابن ماجة والبيهقي وصحح وصحيح الترمذي عن ابي عبيد سعد بن عبيد الزهري قال: شهدت العيد مع عمر فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم قال: ان رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين، اما يوم الاضحى فتأكلون من لحم نسككم واما يوم الفطر ففطركم من صيامكم) وفي المنهل العذب المورود شرح سنن ابي داود (ج ٩ ص ١٦٣، ١٦٤) (قوله: اما يوم الاضحى فتأكلون من لحم نسككم) أي من اضاحيكم التي تتقربون الى الله تعالى بذبحها في هذا اليوم وهذا بيان لعلة النهي عن صوم يوم الاضحى لانه لو شرع فيه الصوم لم يكن لمشروعية الذبح فيه فائدة ولان في صيامه الاعراض عن ضيافة الله تعالى وقال ايضا: قوله (واما يوم الفطر ففطركم من صومكم وعيد المسلمين) وهو بيان لعلة النهي عن صيام يوم الفطر.. وايضا ففي

الفطر فصل صوم الفرض عن النفل واظهار اتمام رمضان ولو صامه لاتصل الفرض بالتطوع فيشكل ا هـ. اما بالنسبة لايام التشريق ومنع الصوم فيها ففي حديث سعد بن ابي وقاص الآنف الذكر وحديث عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله ﷺ: (يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق عيدنا اهل الاسلام وهي ايام أكل وشرب) لما أخرجه النسائي والحاكم والبزار والبيهقي والدارمي والترمذي وقال: حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم يكرهون الصيام ايام التشريق الا ان قوما من اصحاب النبي ﷺ وغيرهم رخصوا للمتمتع اذا لم يجد هديا ولم يصم في العشر ان يصوم ايام التشريق ا هـ.

يتضح من هذين الحديثين الشريفين وغيرهما من احاديث الباب ان المراد من ذلك: عدم جواز صوم هذه الايام لان الله تعالى أكرمنا بضيافته فيها فلا ينبغي الاعراض عنها كما يرشد اليه قوله ﷺ: «وهي ايام أكل وشرب».

من حكمة صوم شهر مخصوص وكونه في رمضان

خصص الشارع الحكيم ان تؤدى فريضة الصيام في شهر واحد معين معلوم وكونه في شهر رمضان سيد الشهور

والاعوام حتى يكون المسلمون متحدين متآلفين وحتى لا تتخذ الفوضى الى صفوفهم، لانه اذا فوض الى كل بلد او اقليم تعيين شهر تختاره لتؤدي هذه الفريضة فيه، كان ذلك داعيا الى الاختلاف والتفكك وعلى هذا وتفاديا من الاختلاف بين الاقطار الاسلامية في ابتداء هذه الفريضة المباركة أحد اركان الاسلام الخمسة، يحسن بالحكومات الاسلامية ان تضع حدا لهذا الاختلاف الذي هو من اسباب التنازع والفرقة.

وهو ان من سبقت رؤيته لهلال رمضان في الاقطار الاسلامية التزمت سائر الاقطار الامساك، وكذلك بالنسبة لرؤية هلال شوال حيث ان جميع الأقطار اصبحت كقطر واحد لقربها بالمواصلات السريعة السهلة، فلا مجال للقول باختلاف المطالع ويترجح القول باتحادها، وهو قول كثير من الائمة كالامام احمد والليث وبعض اصحاب الشافعي والامام مالك كما نقل ذلك الموفق وغيره قال في المغنى والشرح الكبير: (فصل؛ واذا رأى الهلال اهل بلد لزم جميع البلاد الصوم وهذا قول الليث وبعض اصحاب الشافعي » ا هـ.

ثم دعم رحمه الله هذا القول بالحجج والبراهين قائلا: (ولنا قول الله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقول

النبي ﷺ (للاعرابي لما قال له: آلله امرك ان تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: نعم) واجمع المسلمون على وجوب شهر رمضان وقد ثبت ان هذا اليوم من شهر رمضان بشهادة الثقاة فوجب صومه على جميع المسلمين، ولان شهر رمضان ما بين الهلالين، وقد ثبت ان هذا اليوم منه في سائر الاحكام، من حلول الدين ووقوع الطلاق والعتاق ووجوب النذر وغير ذلك من الاحكام فيجب صيامه بالنص والاجماع، ولان البينة شهدت برؤية الهلال فيجب الصوم كما لو تقاربت البلدان اهـ؛ ثم اخذ رحمه الله تعالى يقرر الى ان حديث كريب لا يستدل به على الاخذ به في اختلاف المطالع كما قال به بعضهم فقال: «فاما حديث كريب فانما دل على انهم لا يفطرون بقول كريب وحده ونحن نقول به وانما محل الخلاف وجوب قضاء اليوم الاول وليس هو في الحديث اهـ وبهذا قال الامير الصنعاني رحمه الله في العدة عند قول الشارح: وقد وقعت المسألة في زمن ابن عباس قال: اقول يريد ما رواه مسلم في صحيحه عن كريب ثم ساق الحديث الى ان قال: (فهذا الذي اشار اليه الشارح ليس نصا في ان ابن عباس لم يعمل برؤية اهل الشام لعدم تعدي حكم الرؤية) الى ان قال: اراد ابن عباس بقوله امرنا رسول الله

ﷺ هذا الحديث: (صوموا لرؤيته) وذلك لانه أي ابن عباس لم يأت رواية عنه ﷺ انه لا يلزم رؤية جهة اهل جهة اخرى حتى تكون اشارة ابن عباس اليه. قال الحافظ ابن حجر: قد تمسك بالتعلق بالرؤية من ذهب الى الزام اهل بلد برؤية اهل بلد غيرها ومن لم يذهب الى ذلك لان قوله: حتى تروه خطاب لاناس مخصوصين فلا يلزم غيرهم ولكنه مصروف عن ظاهره فلا يتوقف الحال على رؤية كل احد فلا يتقيد بالبلد ا هـ.

وقال الامير معلقا على قول الحافظ هذا: فجعل الحديث محتملا لان يستدل به كل من الفريقين لكنه قرر اخراجه عن ظاهره وهو القول الاول من احتمالي ابن حجر اقول: والقول الاول من احتماليه هو الزام بلد برؤية بلد آخر لانه القول المعول عليه لما عرفته وستعرفه ان شاء الله من أقوال العلماء الاعلام.

قال صاحب التعليق [1] على حاشية الامير: «والحق مع من يرى اتحاد المطلع لان النبي ﷺ وخلفاءه الراشدين اذا ثبت لديهم رؤية الهلال صاموا وصام معهم جميع المسلمين في

(١) هو الاستاذ الشيخ على الهندي.

جميع الاقطار البعيد والقريب على السواء، ولم يرد انه تخلف عن الصيام احد البتة ا هـ. وقال في تحفة الاحوذي شرح جامع الترمذي (ج ٣ ص ٣٧٨) نقلا عن الشوكاني ما نصه: قال الشوكاني في النيل بعد ذكر الاقوال التي ذكرها الحافظ ما لفظه: وحجة هذه الاقوال حديث كريب هذا ووجه الاحتجاج به ان ابن عباس لم يعمل برؤية اهل الشام وقال في آخر الحديث: هكذا أمرنا رسول الله ﷺ فدل ذلك على انه قد حفظ من رسول الله ﷺ، انه لا يلزم اهل بلد العمل برؤية اهل بلد اخر. واعلم ان الحجة انما هي في المرفوع من رواية ابن عباس لا في اجتهاده الذي فهم عنه الناس والمشار اليه بقوله: هكذا امرنا رسول الله ﷺ قوله فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين والامر الكائن من رسول الله ﷺ هو ما اخرجه الشيخان وغيرهما بلفظ: (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غُمَّ عليكم فاكملوا العدة ثلاثين).

وهذا لا يختص باهل ناحية على جهة الانفراد بل هو خطاب لكل من يصلح له من المسلمين، فالاستدلال به على لزوم رؤية اهل بلد لغيرهم من اهل البلاد اظهر من الاستدلال به على عدم اللزوم لانه اذا رآه اهل بلد فقد

رآه المسلمون فيلزم غيرهم ما لزمهم، ولو سلم توجه الاشارة في كلام ابن عباس الى عدم لزوم رؤية أهل بلد لاهل بلد آخر لكان عدم اللزوم مقيدا بدليل العقل، وهو ان يكون بين القطرين من البعد ما يجوز معه اختلاف المطالع وعدم عمل ابن عباس الى برؤية أهل الشام مع عدم البعد الذي يمكن معه الاختلاف عمل بالاجتهاد، وليس بحجة ولو سلم عدم لزوم التقيد بالعقل فلا يشك ان الادلة قاضية بأن الاقطار يعمل بعضهم بخبر بعض، وشهادته في جميع الاحكام الشرعية والرؤية من جملتها، وسواء كان بين القطرين من البعد ما يجوز معه اختلاف المطالع ام لا؟ فلا يقبل التخصيص الا بدليل ولو سلم صلاحية حديث كريب هذا للتخصيص فينبغي ان يقتصر فيه على محل النص ان كان النص معلوما او على المفهوم عنه ان لم يكن معلوما لوروده على خلاف القياس ولم يأت ابن عباس بلفظ النبي ﷺ ولا بمعنى لفظه حتى ننظر في عمومه وخصوصه انما جاء بصيغة مجملة اشار بها إلى قصة هي عدم عمل اهل المدينة برؤية اهل الشام على تسليم ان ذلك المراد الى ان قال رحمه الله: والذي ينبغي اعتماده هو ما ذهب اليه المالكية وحكاه القرطبي عن شيوخه انه اذا رآه اهل بلد لزم اهل البلاد

كلها ، ولا يلتفت الى ما قاله ابن عبد البر من ان هذا القول خلاف الاجماع قال: لانهم قد اجمعوا على انه لا تراعى الرؤية فيما بعد من البلدان كخراسان والاندلس وذلك لان الاجماع لا يتم، والمخالف مثل هؤلاء الجماعة قال صاحب التحفة: انتهى كلام الشوكاني فتفكر وتأمل. اهـ.

وقال صاحب (مرعاة المفاتيح بعد سياق كلام الحافظ ابن حجر): (قلت الاجماع الذي حكاه ابن عبد البر غير مسلم كيف وقد ذهبت الحنابلة واكثر الحنفية والمالكية وبعض الشافعية الى الزام جميع البلاد الصوم والافطار برؤية اهل بلد، والى عدم اعتبار القرب والبعد بينهما في ذلك والى عدم اعتبار اختلاف المطالع، فيلزم اهل المشرق الصوم والافطار برؤية اهل المغرب اذا ثبت عندهم رؤية اولئك بطريق موجب اهـ. وقال في المرقاة: قال بعض الشافعية ان تقاربت البلاد كان الحكم واحدا، وان تباعدت فوجهان، لا يجب عند الاكثر، واختار ابو الطيب وطائفة الوجوب، وحكاه البغوي عن الشافعي اهـ.

وفيه ايضا نقلا عن السرخسي قال: يلزم كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيرهم وفيه ايضا يقول: قال في الدر المختار (اختلاف المطالع غير معتبر على

ظاهر المذهب وعليه اكثر المشايخ وعليه الفتوى فيلزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب اذا ثبت عندهم رؤية أولئك بطريق موجب، كأن يتحمل اثنان الشهادة او يشهد على حكم القاضي أو يستفيض الخبر اهـ.

وقال في مراقي الفلاح: اذا ثبت الهلال في بلدة لزم سائر الناس في ظاهر المذهب وعليه الفتوى وهو قول أكثر المشايخ، فيلزم قضاء يوم على اهل بلد صاموا تسعة وعشرين يوما لعموم الخطاب وهو: (صوموا لرؤيته) اهـ وقال النووي بعد سياق حديث كريب: قال بعض اصحابنا (تعم الرؤية في موضع جميع اهل الارض وعلى هذا انما لم يعمل ابن عباس بخبر كريب لانه شهادة فلا تثبت بواحد ا هـ. من المرعاة. وقال في المجموع (ج ٦ ص ٢٧٤) ما لفظه: (فرع) في مذاهب العلماء فيما اذا رأى الهلال اهل بلد دون غيرهم قد ذكرنا تفصيل مذهبنا ونقل ابن المنذر عن عكرمة والقاسم وسالم واسحق بن راهوية انه لا يلزم غير اهل بلد الرؤية، وعن الليث والشافعي واحمد يلزم الجميع، قال: ولا اعلمه الا قول المدني والكوفي يعني مالكا وابا حنيفة ا هـ.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: (فصل) مسألة رؤية بعض البلاد لجميعها فيها اضطراب، فانه حكى ابن

عبد البر الاجماع على ان الاختلاف فيما يمكن اتفاق المطالع فيه، فاما ما كان مثل الاندلس وخراسان فلا خلاف انه لا يعتبر قال (قلت): احمد اعتمد في الباب على حديث الاعرابي الذي شهد انه أَهلَّ الهلال البارحة فامر النبي ﷺ الناس على هذه الرؤية مع انها كانت في غير البلد وما يمكن ان تكون فوق مسافة القصر ولم يستفصله وهذا الاستدلال لا ينافي ما ذكره ابن عبد البر لكن ما حدد ذلك ا هـ.

وبعد ذكر استدلال من قال انها لا تكون رؤية لجميعها غقب عليها بقوله رحمه الله والصواب في هذا والله اعلم ما دل عليه قوله: (صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون).

فاذا شهد شاهد ليلة الثلاثين انه رآه بمكان من الامكنة قريب او بعيد وجب الصوم وكذلك بالرؤية نهار تلك الليلة الى الغروب فعليهم امساك ما بقي سواء كان من اقليم او اقليمين، والاعتبار ببلوغ العلم بالرؤية في وقت يفيد وقال في موضع اخر: فتلخص انه من بلغه رؤية الهلال في الوقت الذي يؤدي بتلك الرؤية الصوم او الفطر او النسك وجب اعتبار ذلك بلا شك، والنصوص وآثار السلف تدل على

ذلك، ومن حدد ذلك بمسافة قصر او اقليم فقوله مخالف للعقل والشرع ا هـ (من المجلد ٢٥ ص ١٠٣) من فتاواه رحمه الله ومما يجدر بنا الاشارة الى بعض ما جاء في كلمة رئيس جمهورية الصومال آدم عبد الله عثمان اثناء زيارته الرسمية للمملكة العربية السعودية حول الموضوع الذي نحن بصدده حيث اوضح الغرض الذي من اجله اقترح (عقد مؤتمر القمة الاسلامي) وذلك لان يتعارف رؤساء البلاد الاسلامية ويتدارسوا المشاكل القائمة في العالم الاسلامي واهاب برؤساء المسلمين بوضع برنامج ومنهج عام لعمل المسلمين في بلادهم وتوحيد خططهم وعملهم. وضرب لذلك مثلا بقوله:

«ومثلا لتوحيد شعائر العالم الاسلامي نذكر مثلا (توحيد الاعياد) فنجد البلاد الاسلامية تختلف في ايام الاعياد عيد الاضحى فبلد يحتفل بالعيد في يوم وذاك يحتفل في يوم اخر، وان القرآن الكريم لا يحمل غير حقيقة واحدة) ثم أبان فيما يمكن ان يختلف المسلمون فيه بقوله (ولكن من الممكن ان يختلف المسلمون بتفاسير الفاظ القرآن واوضح بعد ذلك الخطة التي يمكن ان تختلف المسلمون توحيد الاهلة بها فقال: (وليس غرضنا هو ان

يكون هدف المؤتمر القمة الاسلامي هو دراسة توحيد الاعياد لانه من الممكن ان يدرس هذا بواسطة لجان من العلماء، ولكنه من المسائل التي يمكن ان يتساءل بها حينما يجتمع برؤساء المسلمين في مؤتمرهم المقترح وتبادل الاراء ليس شيئاً بسيطا انما هو شيء عظيم) ا هـ.

اما بالنسبة للبلاد التي يطول ليلها وقد يصل في بعض الجهات القطبية الى شهور فهولاء يقدرون اوقات صيامهم على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع، كمكة والمدينة كما في كتاب (روح الدين الاسلامي) وغيره وذلك لما اخرج مسلم وغيره من حديث الدجال من رواية النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه والذي فيه: (قلنا يا رسول الله فما لبثه في الارض؟ قال: (اربعون يوما، يوم كَسَنةٍ، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر ايامه كأيامكم) قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره.. الحديث؛ وفي تفسير المراغي (ج ٢ ص ٧٤) ما نصه: (ومن لم يشهد الشهر كسكان البلاد القطبية التي يكون فيها الليل نصف سنة في القطب الشمالي بينما يكون نهارا في القطب الجنوبي والعكس بالعكس فعليهم ان يقدروا مدة تساوي مدة شهر رمضان، والتقدير على البلاد المعتدلة

التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة وقيل على اقرب بلاد معتدلة اليهم ا هـ.

من حكمة كون هذه العبادة في النهار

قلنا من حكم واسرار الصوم ان الانسان اذا صام وذاق مرارة الجوع وشدة الظمأ، تذكر اخوانه البائسين والمحتاجين من ابناء جنسه ودينه وبلده، حصل لديه عطف ورحمة وشفقة بهم فمن اجل ذلك شرع صيامه نهارا، لانه ادعى الى المشقة بالبدن والنفس ليحصل الاخاء والتعاطف ويحل الامن محل الوئام ولينال العامل بذلك الثواب والغفران الدائم من المولى العليم باحوال عباده؛ وقال في بدائع الصنائع للكاساني الحنفي: الحكمة التي شرع لها الصوم هو ما ذكرنا من التقوى وتعريف قدر النعم الحامل على شكرها لا يحصل الا بفعل شاق على البدن مخالف للعادة وهوى النفس، ولا يتحقق ذلك بالامساك في حالة النوم فلا يكون الليل محلا للصوم ا هـ.

ما يفسد الصوم وما لا يفسده

١ - يفطر الصائم بالاكل والشرب لانهما السبب الوحيد لكثرة الدم واتساع مجاري الشهوة البهيمية كما قال شيخ

الاسلام ابن تيمية في فتاويه (ج ٣ ص ١٨) من الطبعة القديمة (انه ثبت بالنص والاجماع منع الصائم من الاكل والشرب والجماع وقد ثبت عن النبي ﷺ ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) ولا ريب ان الدم يتولد من الطعام والشراب واذا اكل او شرب اتسعت مجاري الشيطان (وهي الشهوة) واذا ضاقت انبعثت القلوب الى فعل الخيرات التي بها تفتح ابواب الجنة والى ترك المنكرات التي بها تفتح ابواب النار) الى ان قال رحمه الله تعالى: (فهذه المناسبة ظاهرة في منع الصائم من الاكل والشرب والحكم ثابت على وفقه، وكلام الشارع قد دل على اعتبار هذا الوصف وتأثيره وهذا المنع منتف في الحقنة والكحل وغير ذلك.

٢ - الجماع: لانه من اعظم نعيم البدن وسرور النفس وانبساطها، ولانه يحرك الشهوة والدم والبدن اكثر من الاكل، ولانه يبسط ارادة النفس للشهوات ويضعف ارادتها عن العبادات، اذ انه غاية الشهوات وشهوته لها اعظم من شهوة الطعام والشراب.

ولهذا اوجب على المجامع كفارة ظهار توجب عليه العتق او ما يقوم مقامه بالسنة والاجماع، لان هذا اغلظ وداعيه اقوى والمفسدة به اشد، فهذا اعظم الحكمتين في تحريم الجماع

ولان خروج المني يستحيل في المعدة عن الدم يضر بالانسان الا تراه اذا افرط فيه يخرج احمر.

٣ - وكذلك الاستمناء مع ما فيه من الشهوة يخرج المني الذي هو مستحيل في المعدة عن الدم الذي يتغذى به.

٤ - القيء اذا تعمده لانه يخرج ما يتغذى به من الطعام والشراب المستحيل في المعدة.

٥ - الحيض كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ودم الحيض لان خروجه يقتضي ضعف بدن المرأة وانهاك قواها ،وصومها في هذه الحال يوجب نقصان بدنها وضعفها ولانها يمكنها ان تصوم في غير اوقات الصوم ا هـ.

ما لا يفطر به الصائم

١ - دم المستحاضة لانها تعم الزمان وليس لها وقت تؤمر فيه بالصوم كما انه لا يمكن الاحتراز منه كذرع القيء.

٢ - خروج الدم بالجراح والدمامل.

٣ - الاحتلام ونحوه فما لا يمكن الاحتراز منه فلم يجعل هذا منافيا للصوم كدم الحيض.

٤ - ٥ الكحل والحقنة وهي ايصال الدواء الى باطن المريض من مخرجه بالْمِحْقَنَة (بالكسر) قاله في (المصباح)

فهذه هي الحقنة التي يقول عنها شيخ الاسلام انها لا تفطر الصائم ،اما الحقن التي توجد في زماننا وهي ايصال بعض المواد المغذية الى الامعاء يقصد بها تغذية بعض المرضى والامعاء من الجهاز الهضمي كالمعدة وقد تغني عنها فهذا النوع من الحقنة يفطر الصائم فهو لا يباح الا في المرض المبيح للفطر قال السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار: ومن الامور التي لا تفطر الصائم ما يقطر في الاحليل ومداواة المأمومة - وهي الشجة في الرأس تصل الى ام الدماغ والجائفة وهي الجراحية التي تصل الى الجوف، والى ذلك كله يشير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في فتاواة بقوله فهذا مما تنازع فيه أهل العلم فمنهم من لم يفطر بشيء من ذلك ،ومنهم من فطر بالجميع لا بالكحل ،ومنهم من فطر بالجميع لا بالتقطير ،ومنهم من لا يفطر بالكحل ولا بالتقطير ويفطر بما سوى ذلك قال والاظهر انه لا يفطر بشيء من ذلك فان الصيام من دين المسلمين الذي يحتاج الى معرفته الخاص والعام. فلو كانت هذه الامور مما حرمها الله ورسوله في الصيام ويفسد الصوم بها لكان هذا مما يجب على الرسول بيانه ولو ذكر ذلك لعلمه الصحابة وبلغوه الامة كما بلغوا سائر شرعه فلما لم ينقل احد من اهل العلم عن النبي ﷺ في

ذلك لا حديثا صحيحا ولا ضعيفا ولا مسندا ولا مرسلا علم انه لم يذكر شيئا من ذلك ا هـ.

والى الحكمة من عدم الافطار بشيء من هذه الامور يشير رحمه الله تعالى بقوله: (والممنوع منه انما هو ما يصل الى المعدة فيستحيل دما ويتوزع على البدن، الى ان قال: وهذا الوصف هو الذي اوجب ان لا تكون هذه الامور مفطرة. ا هـ. ومن أراد التوضيح فعليه برسالته (حقيقة الصيام) من رسائله رحمه الله.

من حكمة ايجاب الصوم على الحائض دون الصلاة

لما كان الحيض منافيا للعبادة لم يشرع الصوم ولا الصلاة للمرأة في زمنه، ووجب قضاؤه بعده دون الصلاة لكونه شهرا واحدا في العام، وليس في صيامه مشقة بخلاف الصلاة فانها تتكرر كل يوم فتحصل المشقة في قضائها، وكان في صلاة المرأة ايام طهرها ما يغنيها عن صلاة ايام الحيض؛ ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه اعلام الموقعين: (فصل) وأما ايجاب الصوم على الحائض دون الصلاة فمن تمام محاسن الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصالح المكلفين، فان الحيض لما كان منافيا للعبادة لم يشرع فيه فعلها وكان في

صلاتها ايام الطهر ما يغنيها عن صلاة ايام الحيض فيحصل لها مصلحة الصلاة في زمن الطهر لتكررها كل يوم بخلاف الصوم فانه لا يتكرر وهو شهر واحد في العام فلو سقط عنها فعله بالحيض لم يكن لها سبيل الى تدارك نظيره وفاتت عليها مصلحته، فوجب عليها ان تصوم شهرا في طهرها لتحصل مصلحة الصوم، التي هي من تمام رحمة الله بعبده واحسانه اليه بشرعه وبالله التوفيق . ا هـ بنصه رحمه الله .

فائدة

فان قيل قد جاء في حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الامام احمد وغيره في فضل شهر رمضان المبارك في جملة الاحاديث الصحيحة الواردة في ذلك قوله ﷺ: (وتصفّد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره....) الحديث والواقع فيما نراه ونسمعه من الحوادث والشرور والفتن التي مصدرها الانسان يخالف منطوق الحديث الشريف ومفهومه، قيل في الجواب كما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في فتاواه من المجلد (٢٥ ص ٢٤٦) ان معنى قوله ﷺ: (تصفّد فيه مردة الشياطين) الحديث انها تضعف قوتهم وعملهم بتصفيدهم فلم يستطيعوا

ان يفعلوا في شهر رمضان ما كانوا يفعلونه في غيره ،ولم يقل انهم قتلوا ولا ماتوا: بل قال (صفدوا) والمصفد من الشياطين قد يؤذي لكن هذا اقل واضعف مما يكون في غير رمضان بحسب كمال الصوم ونقصه ،فمن كان صومه كاملا دفع الشيطان دفعا لا يدفعه في الصوم الناقص اهـ.

ليلة القدر

قال في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: قال النووي قال العلماء: وانما سميت بذلك لما يكتب فيها الملائكة من الاقدار والارزاق والآجال التي تكون في تلك السنة لقوله تعالى: (فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) وقوله تعالى: (تَنَزَّلُ الملائكةُ والرُّوح فيها بإِذْنِ رَبِّهم من كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِيَ حَتّىَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم وكل ذلك مما سبق علم الله تعالى به وتقديره له، وقيل سميت بها لعظم قدرها وشرف امرها، واجمع من يعتد به على وجودها ودوامها الى آخر الدهر للاحاديث الصحيحة المشهورة اهـ. وقال ايضا نقلا عن التوربشتي: انما جاء (القدْر) بتسكين الدال وان كان الشائع في القدر الذي هو قرين القضاء فتح الدال ليعلم انه لم يرد بذلك، فإن القضاء سبق الزمان وانما اريد تفصيل ما

قد جرى به القضاء وتبيينه وتجديده فى المدة التى بعدها الى مثلها من القابل ليحصل ما يلقى اليهم فيها مقداراً بمقدار وفي فضلها قال صاحب المرعَاة: والمعنى أنها ذات قدر عظيم لنزول القرآن فيها ولوصفها بأنها خير من ألف شهر لما يقع فيها من تنزل الملائكة ولما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة ولما يحصل لمحييها بالعبادة من القدر الجسيم ا هـ. ملخصا والحكمة فيها كما روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله ﷺ وتمنى أن يكون لأُمته من الفضائل فقال: يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلهم اعمالا فاعطاه الله تعالى ليلة القدر خيرا من الف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله له ولأُمته الى يوم القيامة ا هـ من تفسيري ابن كثير والبغوي(ج ٩ ص ٢٥٥) وفي الحكمة من إِخْفائها قال الحافظ الرازي رحمه الله: انه تعالى اخفى هذه الليلة كما اخفى رضاه في الطاعات حتى يرغب العباد في الكل ويجتهدوا في الجميع، وكما اخفى سخطه في المعاصي ليحترزوا عن الكل ويبتعدوا، وكما اخفى الاجابة في الدعاء ليبالغوا فيه ويلحُّوا به، وكما اخفى الاسم الاعظم

من اسمائه، ليعظموا جميع اسمائه وكما اخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع انواعها واقسامها، وأَخْفى الموت ليخاف المكلف ويأخذ حذره، فكذا اخفى هذه الليلة لِيُعَظِّموا جميع ليالي رمضان اهـ.

ففي صحيح مسلم وسنن أَبي داود ما يشهد لذلك فقد سُئِل ابو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود عن ليلة القدر فقال: من يَقُمِ الحوْلَ يُصِبْها، أي من يحيي كل ليالي السنة بالطاعات يُدْرك ليلة القدر لعدم خُلُوِّ السنة منها، وقال أبيّ ابن كعب: كره ابن مسعود أن تعتمدوا على قول واحد هو أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وان كان هو الصحيح الغالب على الظن فلا تقوموا إلا تلك الليلة وتتركوا قيام باقي ليالي العام، فتفوت حكمة الإبهام التي نسي النبي ﷺ بسببها تعيين ليلة القدر وهي طلب الاجتهاد في الطاعة في جميع ليالي الشهر اهـ من المنهل العذب (ج ٧ ص ٣٢٣).

من اسرار الحج

تمهيد:

في كتاب (من وحي مشاهد الحج واسراره) يقول الاستاذ سالم عمار الشرقاوى: الحج مؤتمر سنوي أعلى شرع لما

شرعت به صلاة الجماعة والجمعة والعيدين من الاتحاد واجتماع الكلمة، ووقوف المسلمين جنبا الى جنب، وتبادلهم المودة والاخاء، وتوثيق عُرى التآلف والتكاتف، لان هذا هو السبيل الوحيد الى سعادتهم في الدنيا والاخرة؛ فالصلاة عبادة بدنية، وهي كمؤتمر يومي في جماعة مصغرة في المسجد وفي اي مكان يصلح ويصح فيه أداؤها ثم تتسع في جماعة اكبر منها كأيام الجمع والعيدين في حدود واسع، وهي القرية او المدينة، ولكن الحج مؤتمر أوسع وأجمع شمولا من غيره من المؤتمرات الاسلامية لانه يقوم على اعتبار ان المسلمين اجمع وحدة متماسكة متضامنة لا تتجزأ، كما يقوم على اعتبار ايجاد العلاقات الثابتة المنظمة بين اجزاء هذه الوحدة الاسلامية المجتمعة وبين الخالق جل وعلا في وقت محدود وفي اعظم مكان مشهود، ولو ان المسلمين عنوا به عنايتهم بالمؤتمرات التقليدية التي يعقدونها ويبذلون فيها الاموال الطائلة، والتي لم يستفيدوا منها شيئا ينفعهم، لكانت المنفعة اجدى لعموم الشعوب الاسلامية وانفع للفرد والجماعة علاوة على عفو الله وغفرانه، كيف لا وقد سادت في هذا المؤتمر العظيم التعاليم النافعة وغلب فيه النظام الروحي والسلوك الاخلاقي والروح الرياضيـة والنفـع

الاقتصادي، وتجاوبت فيه الثقافات العامة وهو المؤتمر الذي يدعو الى العلم والعمل الواقعي لتنعم فيه الانسانية بالوحدة والرخاء والهناء والوئام والسلام والتضامن في الوصول الى الله عز وجل، والمؤتمر الذي يسمو بمجتمعه الاسلامي فيمتزج فيه الدين بالاخلاق بالنظام وبالاقتصاد والاجتماع ذلك هو الحج المكمل لقواعد الاسلام الخمسة: شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا؛ والحج نهاية العبادات وجماعها، وبعرفة نزلت آخر آيات القرآن الكريم ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام قال الله تعالى: (اليومَ اكْمَلْتُ لكم دينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دينا) وكانت بها خطبة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم التي جمعت من الحكم الغالية والتوجيهات الكريمة ما يعد اكبر مرجع في النواحي الدينية والدنيوية على السواء، من روحية وسياسية وانسانية واجتماعية ودولية، ولما كان الانسان في نشأته الانسانية مركبا من جوهرين هما: الجسد والروح، فقد فرض الشارع الحكيم على كل من هذين الجوهرين فرائض وتكاليف الغرض منها سعادة الانسان وترقيته الى مدارج الشرف والكرامة ووضعه في المكان

الذي هو جدير به، فلقد خلقه الله في احسن تقويم وخصه باشرف العبادات، واجتباه فوق جميع المخلوقات. واهم فرائض الروح العقيدة والايمان وهما الشهادتان وذلك أصول الدين، وأهم فرائض البدن هذه الاعمال التي يسميها الشارع عبادات، وهي فروع الدين، والعقيدة والايمان فريضة روحية والصلاة والصيام فريضتان بدنيتان والزكاة فريضة مالية والحج فريضة تتضمن الفرائض الروحية والبدنية والمالية مجتمعة وللحج مع هذا مزايا عديدة ولعل افضلها المزايا الاجتماعية لان منفعة المجموع فوق منفعة الفرد، ولا يصلح الفرد الا بصلاح المجتمع، ففي الحج يجتمع المسلمون من جميع البلاد والامصار ومن مختلف الاجناس والالوان في صعيد واحد يتعارفون ويتوادون ويتراحمون ويشد بعضهم أَزْرَ بعض ويتدارسون خير الوسائل وانجع السبل التي توصل الدولة الإسلامية إلى القوة والمنعة، وتحفظ عليها استقلالها وعظمتها، فَتَتَضَافَرُ الجهود وتتوحد المقاصد في العلوم الدينية والدنيوية العامة في التربية والتهذيب والتجارة والصناعة، وتزداد الروابط الاخوية والمحبة بين المسلمين فيرحم الغني الفقير ويعطف القوي على الضعيف واذا كان العالم الاسلامي قد اصيب بالضعف

والتفكك وسيطرة الاجنبي فان ذلك راجع الى النزعة الانانية والاقليمية والشعوبية، والاسلام لا يعرف هذه الفوارق ولا يقرها، والحج اكبر الادلة على ذلك. ألا ترى كيف بدأ الدين الإسلامي بالحث على الإجتماع لصلاة الجماعة والحث عليها والترغيب فيها في اليوم خمس مرات، ثم توسع فجعل منها مؤتمرا أوسع بصلاة الجمعة والعيدين، ثم جعل مؤتمرا جامعا شاملا الا وهو مؤتمر الحج يقول تعالى: «وأَذِّنْ في النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وعَلَىٰ كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدوا مَنَافِعَ لَهُم وَيَذْكُروا آسْمَ الله» فاذا اجتمعوا من أماكنهم الشاسعة حصل بينهم التعارف والتآلف وعرف العربي الهندي، والتركي، الصيني، والمصري الشامي، والمغربي الجاوي، وهلم جرا، حتى إنهم بهذا الاجتماع وهذا التعارف كالإخْوة الذين هم من أب واحد وأُمّ واحدة لرابطة الدين التي جعلتهم كذلك بلا فرق بين قبيلة واخرى او عنصر وعنصر، هذا وإن تآلف القلوب واتحاد الكلمة والتضامن الحسي والمعنوي بواسطة هذا الاجتماع وما يدعو اليه بعض مصلحي هذه الأمة في عصرنا هذا من التضامن والتقارب ووجهات النظر بين عموم المسلمين لا فارق بين جنس واخر.

انها لفائدة جليلة ونعمة عظمى يحصل عليها المسلمون في انتظام احوالهم الدنيوية، وهي أن يعرف كل مسلم ما في بلاد اخيه الآخر من التجارة والصناعة والزراعة والفوائد المستحسنة، فيقتبسون من بعضهم هذه المنافع ويتبادلون تلك المصالح الدينية والدنيوية وهذا هو معنى الجامعة الاسلامية التي يتخوف منها الاجنبي العدو اللدود للإسلام والمسلمين، والتي حسب لها ألْف ألْف حساب، وعرف ان الحج هو تأييد للجامعة الاسلامية فوضعوا العراقيل ونصبوا الاسلاك الشائكة للحيلولة دونها، ومن المؤسف له اننا معشر المسلمين قد جعلنا هذه المنافع العظيمة التي رتبها المولى جلت عظمته بقوله: (لِيَشْهَدُوا منافع لهم) وصار من يؤدِّيها منا إنما يؤديها على انها فرض يجب اداؤها بدون نظر الى تلك المنافع والفوائد والحكم التي اوضحها العلماء نفع الله بعلومهم عموم المسلمين. آمين. اهـ بتصرف.

من حكمة لبس ثياب الاحرام

يلبس المحرم بالحج والعمرة إزاراً ورداء، متجرِّدا من ثياب الزينة والسلاح ومتع الحياة، وجميع الصفات الذميمة وآفات النفس واستبدالها بالصفات الحميدة، والتخلق بالاخلاق الفاضلة، ليكون في أعلى درجات الخضوع

والتذلل لله تعالى، اشارة منه الى انه لا يملك منه قليلا ولا كثيرا وان الله تعالى هو المالك لكل كائن ويكون، وبهذا يشير الى انه واقف بين يدي مولاه عز وجل كيوم ولدته امه ليس عليه شيء من عرض الدنيا الا ما يستر به عورته، ولا يخفى ان هذه الحالة هي اكبر درجات الخضوع واسمى منازل الخشوع والغاية في التذلل للخالق جل شأنه، وعظمت قدرته، بهذا اللباس المتواضع يتذكر المحرم اهل المحشر وهم واقفون بغير لباس على ابدانهم، فيخضع ويخشع، والذكرى تنفع المؤمنين وبالاضافة الى هذه الفوائد الدينية فان هناك حكمة صحية فقد قال الاطباء: ان الانسان يلزمه ان يعرض جسمه وبدنه للهواء الطلق ومؤثرات الجو مدة من الزمن لكي يستريح فيها الجسم ويسترجع قواه ويستعيد نشاطه بملاصقة «اوكسجين» الهواء لجميع مسام الجسم وبذلك يكتسب الصحة والعافية من الله تعالى وباذنه ومشيئته جلت قدرته وعظمت حكمته كما في كتاب حكمة التشريع، من هذا يتبين لك فساد ما يتقوله بعض الذين في قلوبهم مرض والمتحاملون على الدين الاسلامي الحنيف بان الاحرام سبب كبير للامراض التي تعترى الحاج في هاتيك البقاع من البرودة شتاء والاحتقانات الدموية صيفا فنقول

لهم: تبّاً لكم انكم لم تعرفوا شيئا عن الدين الاسلامى، فكيف تتهجمون عليه كفاكم جهلا وتخبطا، لتعلموا ان الدين الاسلامي الحنيف الذي رضيه المولى لنا وارتضانا له لا يأمر بأمر الا اذا كانت فيه مصلحة للانسان، تعود عليه من كل الوجوه بالخير والسعادة والبركة والعافية، فقد اجاز الاسلام للمحرم تغطية الرأس ولبس المخيط ايضا لمن به اذى ومضرة وشرع الفديـة لذلـك تُصْرَفُ للفقراء البائسين والمحتاجين المعوزين بقوله:

« فَمَنْ كان مِنكُمْ مريضاً أَوْ بهِ أذىً مِنْ رأسِهِ فَفِدْيَةٌ من صيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ » البقرة - آية (١٩٦)

ولا يخفى على الجهلاء المتحاملين على هذا الدين الحنيف ما يفعله اهل اوربا الشمالية من انهم يقصدون في بعض الايام الجبال وشواطىء البحار ويخلعون ثيابهم الا ما يستر عوراتهم ويقيمون على هذه الحالة اياماً كثيرة يستعيدون فيه ما فقده الجسم من القوة والنشاط، فهل يمكن القول بان هؤلاء وهمْ هُمُ المحبون لانفسهم وابدانهم واجسادهم يعرضونها للاذى والامراض لو لم تكن في ذلك فوائد وحكم، ومن حكم الإحرام ايضا انه حمى الله جعله لبيته المطهر فاذا دخل المسلم فيه حرم عليه ان يتخذ اي وسيلة من وسائل الزينة

والرفاهية، والغرض من ذلك التقرب الى الله والوصول الى ما اعده سبحانه وتعالى للنفس المحسنة من حسن الجزاء ولا يكون ذلك عادة الا بابعاد النفس عن شهواتها وكفِّها عن لذائذها، ومن حكمه أنه يوحي بالتقشف والزهد في متع الحياة والسمو والارتفاع فوق المادة، وفي نفس الوقت فيه رياضة النفس على المشقة واحتمال المكروه لا سيما وهو في جو ديني يجعل تأثيرها على النفس اعظم وفائدتها اكثر. قال (ابن دقيق العيد) في شرح (العمدة): والسر في ذلك اي الاحرام وفي تحريم المخيط وغيره مما ذكر والله اعلم مخالفة العادة، والخروج عن المألوف لاشعار النفس بأمرين؛ احدهما: الخروج من الدنيا والتذكر للبس الأكْفان عند نزع المخيط، والثاني: تنبيه النفس على التلبس بهذه العبادات العظيمة بالخروج عن معتادها وذلك موجب للإقبال عليها والمحافظة على قوانينها واركانها وشروطها وآدابها والله اعلم اهـ.

وقال العلامة (خليل المالكي) في (منسكه) ما نصه: وشرع خلع الثياب اشعارا بحالة الموتى ليتخلى عن الدنيا ويقبل على باب ربه وعبادته لان نزع ثيابه كنزع ثياب الميت على المغتسل، ولبس ثياب الاحرام كلبس الاكفان لان الحاج قادم على الارض المباركة المقدسة وقصدا لمخالفته

حالته المعتادة ليتنبه لعظيم ما هو فيه فلا يوقع خللا ينافيه الى أن قال رحمه الله وامر عبيده بترك الرفاهية والقاء التفث اشارة الى ترك حظوظ النفس وان العبد اذا قدم الى مولاه لا يأتيه الا خاضعا ذليلا ولا يشتغل بغير الله تعالى، ونُهي العبد الْمُحْرِمِ عن قتل الصيد اشارة الى ان من دخل الحرم فهو آمن . اهـ.

وفي (ارشاد الناسك) لامين محمود خطاب ما نصه: وحكمة تحريم اللباس المذكور على المحْرِم وامره بلباس الازار والرداء ان يبعد عن الترفّه ويظهر بمظهر الخاشع الذليل وليتذكر كل وقت انه محرم، فيكثر من اذكار الاحرام ويتجنب محظوراته، وليتذكر الموت ولباس الاكفان، وليتذكر البعث والناس حفاة عراة الى الداع اهـ. وفي تفسير (المراغى) (ج ٢ ص ١٠٠) في الحكمة من ذلك في قوله تعالى: «فلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدالَ في الْحَجّ» أي: لا يفعل الحاج شيئا من هذه الافعال لانه مقبل على الله قاصد لرضاه فينبغي ان يتجرد عن عاداته وعن التمتع بنعيم الدنيا، وينسلخ عن مفاخره ومميزاته عن غيره بحيث يتساوى الغني والفقير والصعلوك والامير، وفي هذا تهذيب للنفس واشعار لها بالعبودية لله تعالى، وقد جاء في

الصحيحين عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال: « من حَجّ ولم يَرْفُثْ ولم يَفْسق خرج من ذنوبه كَيَوْم ولدته امه » الى ما في ذلك من تعظيم شأن الحرم وتغليظ امر الإثم فيه لان المرء في اوقات العبادة ومناجاة الله، يجب ان يكون على أكمل الآداب وأفضل الاحوال، وللمرء في المجتمع من الآداب ما ليس له حين الخلوة، وله في مجلس السلطان ما ليس له مع الاخوان اهـ.

من حكمة التلبية

ان التلبية اجابة لنداء الله على لسان أبي الانبياء وسيد المخلصين ابراهيم الخليل عليه السلام حينما امره المولى بالنداء في الناس بالحج اذ يقول عز من قائل: « وأَذِّنْ في الناسِ بالْحَجِّ » فهو يشبه نداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة، مجيبين لنداء الله عز وجل منقسمين الى: مقربين ومبعدين، وإلى مقبولين ومردودين.

لهذا فَلْيَرْجُ الحاج من الله تعالى ان يكون مقبولا وليخش الرد بأن يقال له: لا لبيك ولا سعديك، فليكن بين الرجاء والخوف مترددا، وعن حوله وقوته متبرئا، وعلى فضل الله وكرمه متكلا. فعن المحب الطبري في كتابه(القِرى

لقاصد أم القُرى) انه قد جرت احوال لبعض العارفين الخائفين عند التلبية فعن سفيان بن عُيَيْنَةَ قال: حَجَّ علي بن الحسين رضي الله عنه فلما احرم واستوت، به راحلته اصفر لونه وارتعد، ولم يستطع ان يلبي فقيل له: مالَكَ لا تُلَبّي؟ فقال اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك، فلما لبى غشى عليه.

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه انه حج فلما اراد أن يلبي تغير وجهه فقيل: مالَكَ يا ابن رسول الله؟ فقال اريد ان ألبّي فاخاف ان اسمع غير الجواب اهـ.

وفي كتاب (روح الدين الاسلامي) في الحكمة من التلبية ما نصه: يردد المحرم هذه التلبية حينما يرددها فإنما هي بمنزلة النشيد الذي يردده الجندي في ساحة القتال فتشع فيه روح الحماسة والاقدام على فعل الخير والانقياد لله المالك الاحد، لكي يعيش كما امره المولى ان يعيش مخلوقا وديعا وقّافا عند حدود الله التي شرعها له، اهـ. ومن حكمها أيضا التنبيه على اكرام الله تعالى لعباده بان كان ايفادهم عليه باستدعاء منه عز وجل. والله اعلم.

من حكمة استلام الحجر الاسود

الحجر الاسود حجر مبـارك معظم في الجاهليـة والاسلام ولا ادل على ذلك من اختلاف قريش عند بناء الكعبة المعظمة وتنازعهم في امر من يناله شرف وضعه في مكانه، فقد ساق الله الامين محمدا ﷺ قبل بعثته فحكّموه في الامر وحل المشكل بينهم بان وضع الحجر على قميصه واشار عليهم بان يرفعه من كل قبيلة ممثل لها فحقق لهم هذا الحل وهو اشتراكهم في شرف وضع الحجر مكانه، اما تعظيمه في الاسلام فقد كان رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله ويقول:

«انه يمين الله في الأرض» كما رواه الطبراني وغيره وذلك لما انطوى عليه من معان سامية، اذ هو اقدم اثر لازم البيت الحرام منذ وضع امام الموحدين ابى الانبياء ابراهيم عليه السلام، حيث جعله في بيت الله المعظم ليكون مبدأ للطواف بالكعبة المشرفة يعرف بمجرد النظر اليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون، وبهذا صار من شعائر الله يقبل ويحترم، لانه رمز لروح الخير في الارض كما ان الحجر المسمى بالجمار رمز لروح الشر في الارض، فتلك المادة الخيرة تقبَّل وتستلم، وهذه المادة الشريرة تهان وترجم

وهذه حكمة بالغة في منتهى السمو في تجسيم المعاني للنفس الانسانية ،فتعظيم الحجر الاسود من تعظيم الكعبة المشرفة لجعلها بيتا لله تعالى، وان كانت مبنية بالحجارة فالعبرة بروح العبادة وهي الخشوع النِّيَّة والقصد وبصورتها الامتثال لأمر الشارع واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان ،ولهذا لم يشرع تقبيل ما عدا الحجر الاسود من أركان البيت الحرام، ولا شيء من الشعائر الشريفة كالقرآن الكريم ولا الآثار الدينية والدنيوية، ومن الثابت الواضح ان قريشا لما جددوا بناء الكعبة المعظمة ابقوا الركنين اليمانيين دون غيرهما ولهذا شرع استلامهما وجاء في (مناسك الحج) للسيد محمد رشيد رضا أنه: لما كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الاسلام وبعده لم يبق فيها حجر يعلم باليقين انه من وضع خليل الرحمن عليه السلام إلا الحجر الأسود شرع تقبيله زيادة على الركن اليماني كما شرع تقبيله اختباراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع، وهذا شبيه بقصة ابليس حين أمر بالسجود، قاله الحافظ ابن حجر، بقي من حكم استلامه ما ورد من الآثار ما رواه الطبراني وغيره من انه « يمين الله في الأرض » وأن من صافحه كان له عند الله عهد، ومعنى هذا ان المستلم بمنزلة المبايع لله عز وجل على طاعته اهـ

فيجب التصميم والعزم والوفاء بالبيعة، وعدم الغدر بها، فمن غدر استحق المقت والغضب من الله تعالى. وبالجملة فانه انما شرع تعظيمه اتباعا لفعل رسول الله ﷺ كما قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: «والله لأَعْلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أَني رأيت رسول الله يُقبّلك ما قبلتك» وفي (اسرار الحج) لمؤلفه (سالم عمار الشرقاوي) كلام في هذا الموضوع لحافظ بك عامر نورده في هذه العجالة لعموم الفائدة وهو قوله:

«يرى بعض الفقهاء ان استلام الحجر الاسود كأنه مصافحة ليد الله عز وجل على سبيل المجاز ونرى نحن ان في هذا الحجر واستلامه رمزا ساميا وحكمة بالغة فهو رمز لهذه الكرة الارضية كلها يلمسها الحجاج جميعا كأنهم يشيرون الى توحيد بلادهم المختلفة تحقيقا للمساواة في الاسلام، ومما يؤيد ذلك ان المسلمين جميعا في مختلف اقطار الدنيا يوجهون وجوههم في الصلاة شطر الكعبة المعظمة لتوحيد الجهة الاسلامية فيكون الحجر الاسود في الكعبة كأنه روح الأرض فما اجملها وما ادقها حكمة. اهـ.

دخول مكة وطواف القدوم

وفي الحكمة من دخول مكة وطواف القدوم يقول

العلامة (خليل المالكي) رحمه الله في (منسكه): وشرع عند دخول مكة الغسل اشارة الى تطهير قلبه مما عساه ان اكتسبه، من حال احرامه الى حين وقت الدخول في محل الملك، وانه لا ينبغي له ان يدخل الا بعد تصفيته من جميع الاكدار، وشرع طواف القدوم اشارة الى تعجيل اكرامه لان الضيف ينبغي ان يقدم اليه ما حضر ثم يهيأ له ما يليق به، وكانت سبعة اشواط لان ابواب جهنم سبعة ابواب فكل شوط يغلق عنه بابا ثم يتركع بعد الطواف زيادة في القرب والتداني لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اهـ.

من حكمة الطواف بالبيت الحرام

من مناسك الحج ومن اعظم شعائر الاسلام الطواف بالكعبة المعظمة من عهد أبي الانبياء وامام الموحدين ابراهيم الخليل وولده اسماعيل عليهما الصلاة والسلام كما ثبت في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاء ابراهيم عليه السلام بهاجر وابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دَوْحةٍ فوق زمزم فوضعها تحتها وليس بمكة يومئذ أَحد وليس بها ماء، ووضع عندها جِرابا فيه تَمْر وسقاءً فيه ماء، ثم قَفّى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت: يا ابراهيم اين تذهب

وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء؟ فقالت: له مرارا فجعل لا يلتفت اليها فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذْن لا يُضَيِّعنا) اخرجه البخاري وغيره، وفي رواية: (وجاءها الملك وقال: لا تخافوا الضَّيَعَةَ فإن ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يُضَيِّع أهله) والعمدة في هذه العبادة وغيرها من مناسك الحج، اقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي اقدم معاهد التوحيد المعروفة في الارض، واحياءً لسنن المرسلين فيها، ففى سنن ابي داود والترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها: «انما جُعل الطواف بالبيت وبالصَّفا والمرْوة ورميْ الجِمار لإقامة ذكر الله»، فالغرض من اقامته ذكر الله وعبادته وتخصيصه للطائفين والقائمين فيه، فللتوحيد اقيم هذا البيت منذ أول لحظة عرف الله مكانه ابراهيم عليه السلام، وملكه أمره ليقيمه على اساس التوحيد وعدم الاشراك به فهو بيت الله وحده دون سواه، طَهَّرَهُ للحجيج والقائمين فيه: «وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطّائفين والقائِمين والرُّكَّعِ السُّجود».

تلك هي القِبْلة التي يتوجه اليها المسلمون جميعا ويلتقون عليها ويجدون رايتهم التي يفيئون اليها راية

التوحيد التي تتوارى في ظلها فوارق الاجناس والالوان والاوطان، كما يجدون قوتهم التي قد ينسونها حينا، تلك هي قوة التجمع والتوحد والترابط.

وهذا معنى قوله تعالى: «جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ البيْتَ الحرامَ قِياماً لِلنّاس» اي قياما لهم في امور دينهم ودنياهم فلا يزال المسلمون بخير ما حُجَّ هذا البيت، وقد روى جابر بن عبد الله رضي عنهما ان النبي ﷺ قال: «ان هذا البيت دعامة الإسلام» اخرجه الازرقي.

ولما كانت منزلة هذا البيت المعظم بهذا الاجلال والاحترام والتعظيم لما له من شرف البقعة وأَوَّلِيَّةِ وَضْعِهِ للناس لتمجيد الخالق جل وعلا، كان له من الاداب الكاملة والمزايا الفاضلة، وذلك بان يؤدي المسلم له التحية المشعرة باجلاله واحترامه، وهذه التحية هو طوافه به سبعة اشواط لما لهذا العدد من السر العظيم ففي كتاب (اللؤلؤ والمرجان) (ص ٣٧٨) منه فيما رواه عبد الرزاق في كتابه عن «معمر» عن «قتادة» و«عاصم» انهما سمعا «عكرمة» يقول: قال «ابن عباس» رضي الله عنهما: دعا «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه اصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فاجمعوا انها في العشر الاواخر، قال ابن

عباس: فقلت لعمر: انى لأَعْلَم او انى لأَظُنّ اي ليلة هي؛ قال عمر: وأي ليلة هي؟ قلت: سابعة تمضي او سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر: من اين علمت ذلك؟ فقلت: ان الله خلق سَبْع سموات وسبع ارضين وسبعة ايام، وان الدهر يدور على سَبْع، وخلق الانسان من سَبْع، ويأكل من سَبْع، ويسجد على سَبْع، والطواف بالبيت سَبْع، ورمي الجمار سَبْع، فقال عمر رضي الله عنه: «لقد فَطِنْتَ لأَمْرٍ ما فَطِنْتُ له» وجاء في تفسير القرطبي (ج ١٩/ ص ٢٢) أن روى عن النبي ﷺ انه قال: (خُلِقْتُم من سَبْع ورُزِقْتم من سَبْع فاسجدوا للهِ على سَبْع) وانما أراد بقوله: خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقة، ثم من مضغة... الآية؛ والرزق من سبع وهو قوله تعالى: فأنبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله: وفاكهة وأَبّا.

وفي رواية اخرى عن محمد عن كعب رضي الله عنه قال بينما عمر بن الخطاب جالس في نفر من اصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين ذكروا ليلة القدر ومعهم ابن عباس رضي الله عنهما فتكلم كل رجل منهم بما سمع عنها وابن عباس ساكت فقال له عمر رضي الله عنه: مالك يا ابن عباس ساكت لا تتكلم؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة، فقال ابن عباس:

ان الله تعالى وتر يحب الوتر وانه جعل ايام الدنيا تدور على سبع وخلق ارزاقنا من سبع ،وجعل فوقنا سبعا ،وجعل تحتنا سبعا وجعل البحار سبعا وجعل ما يقع في السجود من اعضائنا سبعا ، وحرم من نكاح الاقربين سبعا ، وقسم المواريث بينهم على سبع ، واعطى نبيه محمدا ﷺ المثانى سبعا ،والطواف بالبيت سبعا ، ورمى الجمار سبعا ، فاظنها والله اعلم في ليلة سبع وعشرين من رمضان ، فتعجب عمر وقال: يا قوم من كان يروى هذا كرواية ابن عباس؟

يطوف المسلم بقلبه وقالبه فهو بمنزلة الصلاة فليحضر الطائف به قلبه بالتعظيم والخوف والرجاء والمحبة ، وليعلم ان طوافه هذا حول هذا البيت المطهر قد أشبه بالملاكة المقربين الحافِّين حول العرش المقصود منه طواف الجسم والقلب معا .

من حكمة الرَّمْل في الطواف والسعى

« الرَّمْلُ » هو سرعة المشي بهمة ونشاط مع تقارب الخطأ ويسمى « الْخَبَب » ايضا ، والحكمة في مشروعيته اظهار قوة المسلمين ونشاطهم لاداء ما فرضه الله تعالى عليهم ومرآات المشكرين ، وذلك ليعلموا اننا لا نعجز عن مقاومتهم ، وهذا

معنى ما ثبت في الصحيح ان النبي ﷺ لما قدم مكة لعمرة القضاء قال المشركون: ان محمدا واصحابه لا يستطيعون ان يطوفوا بالبيت من الهُزال وقد أَوْهَنَتْهُم حُمّى يثرب، لذلك امرهم ﷺ ان يُرْملوا ثلاثة اشواط ويمشوا في اربعة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «ولم يمنعهم ان يُرْملوا الأشواط كلها إلا الإبْقاء عليهم» وقد كان خَطَرَ للخليفة الثاني امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يتركه لان النبي ﷺ فعله لسبب عارض فزال ثم بدا له رضي الله عنه فمضى عليه، ولم يتركه محافظة على فعل النبي ﷺ ومنه نعلم ان «الرَّمْل» انما شُرع لسبب عارض، واننا نحافظ عليه اتباعا لرسول الله ﷺ واصحابه رضي الله عنهم وارضاهم وتذكرة لنشأة الاسلام الاولى في عهدهم اهـ من (مناسك الحج) للسيد (محمد رشيد رضا) ملخّصا، ومما يؤيد ذلك ما قاله الامير الصنعاني من أن الرمل: كان اغاظة للمشركين في عمرة القضاء، وأما في حجة الوداع فانه لم يبق بمكة مشرك، وما قاله الطبري من انه قد ثبت ان الشارع رمل ولا مشرك يومئذ بمكة فعلم انه من مناسك الحج اهـ وحكمة مشروعيته واضحة مما تقدم والحمد لله.

من حكمة ركعتي الطواف خلف المقام

في صحيح مسلم وغيره من حديث جابر بن عبد الله الانصارى رضي الله عنهما ان النبي ﷺ «لما انتهى الى مقام ابراهيم: قرأ «واتَّخذوا من مقام ابراهيم مُصَلّى» فصلى ركعتين فقرأ فاتحة الكتاب وقُلْ يأيها الكافرون وقل هو الله احد، ثم عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج الى الصفا؛ الحديث. وقد وردت احاديث واثار كثيرة في مشروعية ركعتي الطواف لهذا فانها من المسائل المجمع عليها إما ندبا او وجوبا، اما الحكمة في مشروعيتها فقد اطلت البحث في الكتب المؤلفة في هذا الصدد فلم اعثر على ما يشفى الغليل سوى ما وقفت على كتاب «حكمة التشريع وفلسفته» للجرجاوى في حكمة طواف القدوم وحاصله: أن الطواف بمنزلة التحية للبيت الحرام وركعتا الطواف مكملة لهذه التحية، ولكن من المعلوم ان هذا غير كاف لتوضيح وبيان الحكمة التي من أجلها شرعت هذه العبادة العظيمة الفريدة في نوعها فبادرت بالسؤال من صاحب الفضيلة شيخنا واستاذنا الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد فأجاب مشكورا حفظه الله ومتعنا بايامه آمين بقوله: ان الحكمة في ركعتي الطواف بعده والله اعلم انه لما كانت هذه العبادة وهي

الطواف بهذا البيت الذي هو اول بيت وضع للناس قبلة لهم أحياء وأمواتا وقواما لهم في أمور دينهم ودنياهم كما قال تعالى: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس» والدعامة الكبرى للاسلام لما كانت هذه العبادة مستقلة وفريدة في نوعها اذ لا توجد على وجه البسيطة عبادة مثلها فلم يشرع الطواف بشيء سوى هذا البيت المعظم الذي أمر الله العباد بالطواف حوله اذ يقول «وَلْيَطَّوَّفُوا بالبيت العتيق» وحيث ان هذه نعمة كبرى ومِنَّة عُظمى من الخالق تعالت عظمته وجلت حكمته على عباده الطائفين، ناسب ان تصلى ركعتان بعد الطواف شكرا لله تعالى على توفيقه على هذه العبادة العظمى التي لا مثيل لها في سائر بقاع الارض، انتهى جوابه حفظه الله. على ان الحافظ ابن حجر رحمه الله ذكر في الفتح ان أثر قدمى ابراهيم عليه السلام في المقام كرقم الباني في البناء ليذكر بعد موته، والصلاة عنده كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه، ثم قال الحافظ وهي مناسبة لطيفة، وقال: ولم تزل آثار قدمي ابراهيم عليه السلام حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم، قال ابو طالب! وموطىء ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

اما الحديث عن مقام ابراهيم فقد قال (الشرقاوي) في (مشاهد الحج واسراره) ما نصه: وعلى غرار ان الحجر الاسود رمز للخير لازم البيت من عهد أبي الانبياء ابراهيم عليه السلام، فان مقام ابراهيم هو الاثر الخالد له في البيت فالصلاة خلفه ليست صلاة فحسب، بل هي صلاة ممزوجة باستذكار أول من بنى البيت واقام قواعده وجاهد في سبيل الله حتى نال مقام «الخلة» بابعاد الناس عن عبادة الاصنام وارجاعهم الى عبادة الله وحده وقال الله تعالى: «واتَّخذوا من مقام ابراهيم مُصَلّى» فمقام ابراهيم هذا فيه موضع قدميه حيث كان المقام بمثابة «سقالة» يرتفع عليها ليتم البناء، ففي معنى الصلاة بالمقام ذكرى ابراهيم عليه السلام حيث تمثل جهاده ومقامه كما تمثل خلاله وهديه الذي كان تقديره عند الله بمثابة أُمة وحده «إن ابراهيم كان أُمَّة قانتا لله حنيفا ولم يَكُ من المشركين» اهـ.

بئر زمزم

تاريخه:

روى الامام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان «هاجر» لما اشرفت على المرْوَةِ حين اصابها العطش سمعت

صوتا فقالت: صه.. تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت: قد اسمعت، ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بِعَقِبِه - او قال: بجناحه - حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا تغترف من الماء في سقائها وهو يغور بعدما تغرف، قال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «رحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم، او قال لو لم تغترف من الماء، لكانت زمزم عَيْناً معيناً» قال: فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك: «لا تخافوا الضيعة فان هاهنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله» وكان البيت مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله.

مشروعية الشرب منه:

اذا فرغ الطائف من طوافه وصلى ركعتين عند المقام استحب له ان يشرب من ماء زمزم، فقد روى الامام احمد باسناد جيد من حديث جابر في ذكر حجة النبي ﷺ: «ثم عاد الى الحجر ثم ذهب الى زمزم فشرب منها وَصَبَّ على رأسه ثم رجع فاستلم الركن» الحديث.

من حكمة الشرب منه:

في الصحيحين انه ﷺ: «شرب من ماء زمزم وانه

قال: انها مباركة، انها طعام طعم وشفاء سقم » وفي الصحيح ان جبريل غسل قلب رسول الله ﷺ بمائها ليلة أُسْرِيَ به، والاخبار الصحيحة والآثار المروية في فضل زمزم اكثر من ان تحصر، وهي تدل على انها لِما شُرِبَتْ له من طلب الشفاء وقوة القلب، وهي في نفس الوقت شراب وطعام.

فقد جاء في نَيْلِ الاوطار قوله: «ماء زمزم لما شرب» فيه دليل على ان ماء زمزم ينفع الشارب لاي أمر شربه لاجله، سواء كان من أمور الدنيا او الآخرة لان (ما) في قوله: «لما شرب له» من صيغ العموم، وقال النووى في شرح صحيح مسلم بعد سياقه احاديث زمزم: هذا مما يدل على ان الشرب للفضيلة لا للحاجة؛ وقال العلامة (ابن القيم) رحمه الله في كتابه (زاد المعاد): ماء زمزم سيد المياه واشرفها واجلها قدرا واحبها الى النفوس واغلاها ثمنا وانفسها، وهو هزمة جبرائيل وسُقْيا اسماعيل. وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال لأبي ذر وقد اقام بين الكعبة واستارها اربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي ﷺ: «انها طعام طعم» وزاد غير مسلم باسناده «وشفاء سقم» اهـ.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا شرب ما زمزم قال: «اللهم اني اسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل

داء » رواه الحاكم، قال ابن العربي: وهذا موجود فيه الى يوم القيامة، يعنى العلم والرزق والشفاء، لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن به مكذبا ولا يشربه مجربا، فان الله مع المتوكلين وهو يفضح المجرمين. اهـ.

من هذا كله يتبين لنا ان زمزم هي الدواء الشافي والسبب الواقي من الامراض الظاهرة والباطنة، حسية كانت او معنوية، متى صحت النية وسلمت الطوية، وتوكل على خالق البرية، وهي في نفس الوقت السبب المباشر لحياة هذا الوادي، واعاشة الوافدين اليه نتيجة لدعوة الخليل وتضرعات هاجر وحياة سيدنا اسماعيل عليهم الصلاة والسلام؛ وقال (الشرقاوى) في (مشاهد الحج واسراره) ما ملخصه: «جرت عادة ملوك الدنيا ان يقيموا لضيوفهم المآدب تكريما لهم لا سيما من وفد اليهم بدعوة منه، فيختلف المدعوون الى موائد الطعام والشراب، واخيرا يشربون نخب المضيف الداعي اظهارا لمحبته ووداده، ولما كان الحجيج وفد الله وضيفه الذين اجابوا دعوته، وهم في بيته المطهر على موائد كرمه تلك الموائد التي ليست من موائد اهل الدنيا ليستشعروا لذّتها باللسان، وظاهر الحواس بل هي موائد معنوية تتغذى بها ارواحهم، وتتلطف منه نفوسهم، لما

كان كذلك، ناسب ان يَنْهلوا من شرابه المطهَّر من ماء «زمزم» المبارك وسلسبيل الدنيا، ولله دره حيث يقول:

وشرابُ زمزم للحجيـــج مُدامُهُم
ذاك الرَّحيـــق المنْعش المتهـادى
عَيْنٌ تُسمّـــى سَلْسَبيـــلا أُترعـت
للطَّائفـــين ولِلْفُؤادِ الصّـــافي
فيهـا الشفـاءُ لِكُـلّ داءٍ مُعْضلٍ
تجلو الشكوك وَشأْفَـــةَ الإلْحـاد
ولِكُـــلِّ مَأْدُبَـــةٍ شرابٌ يُحْتَسَىٰ
نَخْـب الْمُضيـفِ مُحِبّـه بِوِدادِ
فَضُيُوفُ بَيْـتِ الله مِنْهَـا نُخْبـة
يُحَيِيهم بِالْعِلْمِ والإِمْـــــــدادِ

من حكمة السعي بين الصفا والمروة

يقول الله تعالى: «ان الصَّفا والمرْوَةَ من شعائر الله» (الصفا) جبل متصل بجبل ابى قبيس وهو مواجه بالكعبة المعظمة مما يلى الحجر الاسود منها كما ان «المروة» جبل متصل بجبل قُعَيقعان المسمى بجبل الهندي وهو ايضا مواجه للبيت المحرم مما يلى الركن العراقي منه والمسافة بين الصفا

والمروة كما في (تفسير المنار) (٢/١ ٧٦٠) سبعمائة وستون ذراعا ونصف ولها مواقف مشهورة في التاريخ فقد كانا معظمين في الجاهلية والاسلام لانها الاصل في ذكرى نشأة الدين الأولى بمكة في عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام كغيره من شعائر الله، ويدل عليه ما رواه البخاري وخلاصته:انه لما كان من أمر ابراهيم عليه السلام وامرأته (ساره) ما كان من حملها اياه على هجرة سُرِّيَّتِهِ (هاجر) مع طفلها اسماعيل خرج بها الى برية (فاران) اي (مكة) فوضعها في مكان زمزم تحت دوحة ولم يكن هناك سكان ولا ماء ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ،ثم رجع فقالت له: الى من تتركنا؟ قال: الى الله، قالت: رضيت بالله؛ وهناك دعا ابراهيم عليه السلام بما حكاه عنه رب العزة في سُورَتِهِ: «ربَّنا إنّي أَسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيْر ذي زَرْعٍ عنْدَ بَيْتِكِ الْمُحَرَّم» الى قوله «يَشْكرون» فلما نفذ الماء عطشت وجف لبنها وعطش ولدها فجعل يلتوى وينشغ: (يشهق للموت) فكانت تذهب فتصعد الصفا تنظر هل ترى احداً فلم تر احدا ،ثم تذهب فتصعد المروة فلم تر احدا ،ثم ترجع الى ولدها فتراه ينشغ ففعلت ذلك سبعة اشواط وبعد الاخيرة منها وجدت عنده صوتا فقالت: اغث ان كان

عندك غواث، فاذا هي بالملك جبريل عند زمزم فغمز بِعَقِبِهِ الأرض فانبثق الماء، فجعلت تشرب ويدر لبنها على صبيها، ومر ناس من جُرْهُمٍ بالوادي فاذا هم بطير عائقة - اي تحوم على الماء - فاهتدوا اليه واقاموا عنده ونشأ اسماعيل معهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما ذكر سعيها بين الصفا والمروة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فلذلك سعى الناس بينهما) اهـ. وقد روى الحافظ محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أول ما اتخذ النساء الْمِنْطَق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على ساره) والمِنطق بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء هو ما يشد به الوسط، وكان السبب أن سارة عليها السلام كانت وهبت هاجر لابراهيم فحملت منه باسماعيل فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء، فاتخذت هاجر مِنْطَقاً فشدت به وسطها وهربت وَجَرَّتْ ذيلها لتخفي أثرها على سارة، ويقال ان ابراهيم شفع فيها وقال لسارة: حللي يمينك بأن تنقبي اذنيها وتخفضيها وكانت اول من فعل ذلك وأول ما أحدث العرب جر الذيول عن ام اسماعيل (ج ٦/٢٨٣) اهـ، الفتح. [ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل عليهم السلام وهي ترضعه

حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء ثم قفّى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل، فقالت: يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: اذاً لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثَّنِيَّةَ حيث لا يرونه استقبل بوجهة البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: [ربنا إني اسكنت من ذُرِّيَتِّي بوادٍ غَيْر ذي زرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المحرَّم ربنا ليُقيمُوا الصلاة فاجْعَلْ أَفْئِدَةً من الناس تَهْوي إليهم وَارْزُقْهُمْ من الثَّمَرات لَعَلَّهُم يَشْكُرون] وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل من ذلك الماء حتى نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليهاثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت الوادي ثم أتت المروة، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات، فلذلك سعى الناس بينهما، فلما أشرفت

على المروة سمعت صوتا فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ففحص بِعَقِبِهِ حتى ظهر الماء فجعلته تحوضه وجعلت تنشل من الماء في سقائها، وهو يثور بعدما تغرق، فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافي الضَّيَعَةَ فإن ها هنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يُضَيِّعُ أهله، وكان البيت مرتفعا في الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ من يمينه وشماله؛ فكانت كذلك، حتى مرت بهم رفقة من جُرْهُمٍ أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق (كدا) جبل بأعلا مكة (المشهور الآن) وقبل عصور خلت [بريع الحجون] فنزلوا في أسفل مكة وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأعجبهم حين شب ثم جاء ابراهيم واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة من زمزم فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد ثم قال: يا اسماعيل ان الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني، حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه ابراهيم وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: [رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنّا إِنَّك انت

السميع العليم.

فانظر الى هذه الحادثة التاريخية التي بسببها انفجرت زمزم ورحم الله بها الملايين من الناس المقيمين والوافدين لا تقل ولا تغور، بينما ترى آبار الارض في الدنيا قد تقل وتنشف من قلة الامطار، فما أجلها من نعمة وما ادقها من حكمة فتبارك الله أحكم الحاكمين، قال في (حكمة التشريع:) ان الحاج حينما يسعى بين الصفا والمروة فانه انما يطلب بهذا السعي من الله سبحانه وتعالى ان ينقذه من مخالب العوز والاحتياج، وان يرحمه برحمته الواسعة كما رحم السيدة هاجر وابنها بماء زمزم، فالسعي انما هو اقتداء بالسيدة هاجر في طلب الرحمة والمعونة من الله جلت قدرته واحياء لذكرى هذه الحادثة التاريخية. اهـ.

ومن كتاب (من وحي الحج واسراره) للشرقاوي قوله: ومن مواقف الصفا والمروة موقف ابراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما السلام، وذلك لما رأى ابراهيم في المنام انه يذبح ابنه وفلذة كبده اسماعيل وقص رؤياه عليه فاجابه بالقبول والتسليم جاء به على المروة فاوثقه وفاء لرؤياه وطاعة لأمر ربه فافتدى الله اسماعيل بِذْبحٍ عظيم.

كما ان من مواقف الصفا والمروة ايضا ان خاتم الانبياء

وسيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم وقف على الصفا اول موقف دعا قومه فيه الى توحيد الله وعبادته وذلك كله لاشك باعث لتشريف الموضعين بشعائر الله تعالى اهـ بتصرف.

وفي حكمة السعي بين الصفا والمروة يقول الاستاذ الشرقاوي في قصيدته «من وحي مشاهد الحج واسراره».

وعليك أن تسعى بلَهْفَةِ عائذٍ
وصفاء نفس وانْتِبَاهِ فؤاد
كم وَقْفَةٍ فُتِحَتْ لها بابُ السما
بالمرْوَتَيْنِ تجاوَبَتْ بِمُرادِ
فالسعيُ تَأْيِدٌ لِمَوْقِفِ هاجر
في حال إعْسَارٍ وَخَوْف نَفَادِ
والسَّعْيُ تَقْليدٌ لِمَوْقِ سادَةٍ
وَفَّوا أَمَانَتَهُمْ بِبَذْلِ جهادِ
فَتَقَبَّلَ الرَّحْمٰنُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا
بَذَلُوهُ في جُهْدٍ بِفَضْلٍ بادي
فَعَلَى الصَّفا بَدَأَ النَّبِيَّ محمد
إعلان دين الله بَيْنَ النَّادي

وَتَحَقَّقَتْ رُؤْيَا الْخَلِيلِ بِمَرْوَةٍ
وأتى الفِنجدا لِسَلامةِ الْمُنْقادِ
فإذا سَعَيْتَ فَكُنْ مُتَشَبِّهاً
مُسْتَلْهِماً أَرْوَاحَهُمْ بِالْوادي
وآهْرُبْ إلى الْمَوْلَى بِمَشْيِ هَرْوَلَة
بِالنَّفْسِ مِنْ صِفَةٍ وَنَزْعِ فَسادِ

ويقول العلامة (خليل المالكي) رحمه الله في (منسكه): وامره بعد ذلك بالسعي والبداءة بالصفا اشارة الى ان العبد اذا اطاع مولاه، اوصلته طاعته الى عمل الصفاء صفاء القلوب ثم امره بالنزول والمسيرة الى المروة اشارة الى أن العبد ينبغي له أن يتردد في طاعة ربه بين صفاء القلوب بخلوة مما سوى ربه، وبين المروة بالسمت الحسن وترك المجانة (قال الحطاب): يعني ان لا يبالي الانسان بما صنع، وامره ان يفعل ذلك سبعا اما للمبالغة من الإبعاد من جهنم وإما لما في السَّبْع من الْحِكَم الَّتي لا يحيط بِكُنْهها الا رب الارباب، جعل الايام سبعا والاقاليم سبعا، والافلاك سبعا، وتطوُّر الانسان سبعا، الى غير ذلك مما يناسبه اهـ.

وفي كتاب عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان لمؤلفه (ابراهيم عبيد) عن محمد بن كعب رضي الله

عنه قال: بينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ذكروا ليلة القدر ومعهم ابن عباس رضي الله عنهما فتكلم كل رجل منهم بما سمع عنها وابن عباس ساكت فقال له عمر: مالك يا ابن عباس ساكت لا تتكلم؟ تكلم ولا تمنعك الحداثة؛ فقال ابن عباس: ان الله تعالى وِتْر يُحِبُّ الْوِتْر وانه جعل ايام الدنيا تدور على سبع، وخلق ارزاقنا من سَبْعٍ وجعل فوقنا سَبْعا، وجعل تحتنا سبعاً، وجعل البحار سبعاً وجعل ما يقع في السجود من اعضائنا سبعا، وحرم من نكاح الاقربين سبعا، والطواف بالبيت سبعا، ورمي الجمار سبعا فاظنها- والله اعلم- في ليلة سبع وعشرين من رمضان، فتعجب عمر وقال: يا قوم من كان يروي هذا كرواية ابن عباس) وفيه ايضا: عن معمر عن قتادة وعاصم عن عكرمة مثل ما تقدم، اوردناها والتي قبلها في الحكمة من الطواف بالبيت فليراجع، وبالله التوفيق.

من حكمة الوقوف بعرفات

قال في (تفسير الخازن) في سبب تسميتها بذلك: «عرفات» جمع عرفة سميت بذلك وان كانت قطعة واحدة

لان كل موضع من تلك المواضع عرفة فمن مجموع تلك المواضع (عرفات)، ثم ذكر عطاء ان جبريل عليه السلام كان يُري ابراهيم عليه السلام المناسك ويقول له: (عرفتَ) فيقول: عرفتُ، فسمي ذلك المكان «عرفات»، وقال عن السدي: ان ابراهيم عليه السلام لما اذَّن في الناس بالحج واجابه من اجابه بالتلبية وأبى من أبى، امره الله تعالى ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج، فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة. فطار فوقع على الجمرة الثانية، فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة، فرماه فطار، فلما رأى الشيطان ان لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى أتى ذا المجاز، فنظر اليه فلم يعرفه فجازه فسُمي ذا المجاز، ثم انطلق ابراهيم عليه السلام حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الموقف «عرفات»، والموضع «عرفات»، حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع (الْمُزْدَلِفَة) اهـ.

وذو المجاز ومِجَنَّة وعُكاظ أمكنة قريبة من مكة وقد كانت اسواقا في الجاهلية، قال البحاثة الشيخ محمد بن بليهد في كتابه صحيح الأخبار في الجزء (٢) (ص ٥٠): ذو المجاز واقع في المغمس اذا قطعت وادي الشرائع المعروف وانت

قاصد مكة اتيت على وادي المغمس في الطريق على يسارك فاذا انت حاذيت (كبكب) فهو هناك فيه آثار قديمة لا تزال ماثلة الى هذا العهد. اهـ.

اما عُكاظ فقد كثر التضارب والاختلاف في تحديدها بين اهل المعاجم بسبب اندراسها واضمحلال رَسْمها عن الابصار ثم حققت هذا التضارب وذلك الاختلاف.

رحلة جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز حياة والده رحمها الله بصحبة كل من الشيخ محمد بن بليهد والدكتور عبد الوهاب عزام بك وكان حاصل التحقيق الذي ليس فيه شك ولا ارتياب هو «عكاظ» يبعد عن مطار الحوية مسافة اثني عشرة كيلومترات تقريبا من الجهة الشرقية كما في موقع عكاظ للدكتور عزام بك أما عن مِجَنَّةَ فهو بمر الظهران المعروف الآن: «بالجموم» بوادي فاطمة كما في جغرافية شبه الجزيرة ومن أراد تحقيق ذلك وتوضيحه فليقف على تحقيق ورسم الأستاذ حمد الجاسر المذيل «بموقع عكاظ» والذي دعانا لحديث عن هذه الأماكن هو ذكر ذي المجاز في الأثر الآنف الذكر ولقربها من مكة وغيرها من المشاعر ولشهرتها في اشعار العرب والحديث كما قيل «ذو شجون» ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول: وموقف

«عرفات» هذا هو موقف فضل ورحمة وغفران وهو في نفس الوقت تذكرة لليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين للفصل والقضاء، وهو الموقف الذي كان يؤمه الانبياء منذ عهد ابيهم ابراهيم خليل الرحمن عليه وعليهم الصلاة والسلام لعبادة الله وحده فيه،ثم توارث ذلك من بعدهم متبعوهم الى يوم الدين، يقفون على تلك الارض الطاهرة ملبين دعوة ربهم وخالقهم ملتمسين منه جل وعلا غفران الذنوب، ومحو الخطايا، ومزايا هذا الموقف لا تعد ولا تحصى، فهو المؤتمر العام لجميع المسلمين في انحاء العالم، يجتمع فيه سائر وفود الاقطار الاسلامية، داعين الله تعالى سائلين منه الرحمة والغفران، وهو الموقف الذي تظهر فيه المساواة بين الناس رئيسهم ومرؤسهم، غنيهم وفقيرهم، في زي واحد، وعلى صعيد واحد، متجهين الى قبلة واحدة، يهتفون بنشيد واحد: «لبيك اللهم لبيك» لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ويقول الاستاذ امين محمود خطاب في منسكه ارشاد السالك الى اعمال المناسك:

وحكمة مشروعية الوقوف بعرفة أن الحجاج اذا اجتمعوا بها آملين رغبا ورهبا، سائلين خوفا وطمعا، وهم

بين مقبول ومخذول، يتذكرون موقف القضاء «يَوْمَ لا تَكَلَّمُ نفس إلاّ بإذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسَعيد» ولا تخفى الثمرات العمرانية المترتبة على اجتماع اطراف العالم الاسلامي في ساحة تجمع وفودهم، وتضم شتتهم، ويقوم فيها خطيبهم يدلهم على ما فيه سعادتهم الباقية، وهدايتهم الخالدة، فلو شاءوا لانتفعوا اعظم انتفاع في الدين والدنيا والآخرة اهـ.

من حكمة الافاضة الى مزدلفة

بعد غروب يوم عرفة الموافق لليوم التاسع من ذي الحجة يفيض المسلمون الى مُزْدَلِفة تقرباً الى الله تعالى فرحين مستبشرين، بما حباهم المولى جلت عظمته من فضل ورحمة وغفران، يزدلفون الى المشعر الحرام امتثالا لامر المولى جلت قدرته «واذْكُروا الله عِنْدَ الْمَشْعَرِ الحرام» واحياء لذكرى خليله ابراهيم عليه السلام واقتداء بسيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وقد ورد في بعض التفاسير ان آدم عليه السلام التقى بالام «حواء» بعد هبوطها الى الارض على تل مُزْدَلِفَة فكان لهما موقف هناك تذاكرا فيه امرهما وما كان من تنكر ابليس ومكره بهما. «فتلقّى آدم من رَبِّه كلماتٍ فتابَ عَلَيْهِ» لذلك شرع

هذا الموقف لنتذكر هذه الامور وتلك الاحداث التي تحفزنا للرجوع الى الله والزُّلفى وهذه لاشك حكمة جليلة وفائدة عظيمة.

من حكمة الاقامة بمنى أيام التشريق

قال في معجم البلدان: «مِنىً» بالكسر والتنوين وسمي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق اهـ وقال عن ابن عُيَيْنَةَ انه أُخذ من المنايا وهي بلدة على فرسخ من مكة اهـ وقال في مرآة الحرمين: «منى» هي من المواقع الذي ينزله الحاج ليلة عرفة حتى تشرق الشمس على ثبير، وينزله أيضا يوم النحر وايام التشريق ولياليها حتى يرمى الجمار ثم قال والمسافة من المعلاة في شمالي مكة الى منى «ست» كيلو مترات «٦» تقريبا.اهـ

وفي الحكمة من التوجه الى مِنىً يوم التَّرْوية والعودة اليها بعد الوقوف والنَّفْر من المشعر الحرام،يقول في حكمة التشريع: اعلم انه كان لأهل الجاهلية عوائد اقرها الاسلام بعد تطهيرها مما لا يوافق الدين الحنيف ومن هذه العوائد اجتماعهم بِمَنىً وهو مكان كانوا يقيمون فيه سوقا يسمونها باسمه كسوق «عكاظ» (وذي المجاز وَمِجَنَّة) كان العرب يجتمعون بمنى ويتفاخرون بالانساب والاحساب والعشائر،

ويتناشدون فيه الاشعار، ويتبارون في مضمار الفصاحة والبلاغة، وكانوا يقصدونه من الاماكن النائية للشراء وغير ذلك من الامور التي تقام لاجلها الاسواق. ولما كان هذا الاجتماع فيه منفعةٌ للناس، أقره الاسلام ولكنه ابدل التفاخر بالاحساب والانساب بذكر الله تعالى والتسبيح والتحميد وشكر الله تعالى لما انعم عليهم من فضله حيث يقول جل وعلا: «فاذْكُروا الله كَذِكْرِكُمْ آباءَكُم أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً» ثم قال: ولا يخفى ايضا أن اجتماع الحجاج في هذا المكان واقامتهم شعائر الدين الحنيف وتبادلهم المنافع المادية والادبية ادعى لاظهار عظمة هذا الدين السمح وشوكة المسلمين في عيون اعدائهم، هذا فضلا عن التعارف والائتلاف والتوادد بين المسلمين المختلفى الاجناس كما بيَّنّا في غير هذا المكان، الى ان قال: وعلى الجملة فان النزول بمنى على هذه الصورة وبهذه الكيفية هو أشبه بمعرض من اكبر المعارض التي تقام في العالم اجمع، يبهر عقول هؤلاء الذين يسيئون الى المسلمين في دينهم، لانه جمع بين فائدتين عظيمتين، فائدة الدنيا والدين، وهذا من الحكم البالغة التي يقف عندها الانسان خاضعا خاشعا راكعا ساجدا مهما أوتى من العلم والعرفان. اهـ.

و(مِنىً) بالإضافة الى المؤتمرات الدينية بالمشْعر الحرام مؤتمر اوسع، فعلى ولاة الامور ان ينتهزوا هذه المناسبة السعيدة ليقيموا معرضا دينيا لارباب الفكر والعلم والعرفان في جو من الاخاء والتسامح والصفاء لالقاء المحاضرات الدينية والنصائح والمواعظ والحكم وبيان اسرار هذا الدين الحنيف، وبث الروح الدينية بين عموم المسلمين وبلغات مختلفة حتى تسمع كل امة بلسانها النصح البليغ والوعظ الرقيق فتؤوب الى ديارها وقد ملئت قلوبها بحب الدين وتمكن فيها الحرص على مصالح المسلمين فنهيب بولاة الامور الى القيام بهذه المهمة العظمى وهذا الواجب المقدس.

من حكمة رمي الجمار

سبق ان اوردنا ما ذكره بعض المفسرين كالخازن والبيضاوى وغيرهما من ان ابليس عرض للخليل عليه السلام هناك لِيُوَسْوِسَ له ويشغله عن اداء المناسك، فكان كل مرة يرميه فيخنس ثم يعود. فقد روى احمد والطبرانى والحاكم والبيهقي وابن جرير وابو حاتم وابن مردوية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: «لما اتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات

حتى ساخ في الارض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك » ويقول الاستاذ محمد رشيد رضا في منسكه: فاذا صح ان ابليس عرض لابراهيم الخليل عليه السلام في اثناء مناسكه بظهور ذاته او مثاله او بمجرد التعدي للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى، فلا غرابة في قذفه ورجمه، كما يطرد الكلب، فمن المعروف في الاخلاق والطباع ان يأتي الانسان بعمل عضوي يظهر به كراهته لما يعرض له حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه، فَأَخْذ الحصا ورميها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل، وان حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب، والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبرؤ او الاهانة معهود من الناس وله شواهد عند الامم السالفة كرجم بنى اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع) عليه السلام لعجان بن ذارع واهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧: ٢٤، ٢٥ من سفر يشوع، وكرجم النصارى لشجرة التين، الى ان قال: كرجم العرب لقبر ابى رغال في المغمس بين مكة والطائف، لانه كان يقود جيش أبرهة الحبشى الى مكة لاجل هدم الكعبة التي حرسها الله تعالى، ثم قال: والعمدة

في رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لا حظ للنفس فيه اتباعا لابراهيم اقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الارض، واقتداء بخاتمهم ومكمِّل دينه ومتممه الذي حفظ به الدين كله في الارض، «محمد» صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين اهـ.

وقال ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان اسرار الحج: واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للامر واظهار الرق والعبودية، وانتهاصا. لمجرد الامتثال من غير حظ للنفس والعقل في ذلك، ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام، حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجة شبهة او يفتنه بمعصية فامر الله عز وجل ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله، الى ان قال: واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة وفي الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم ظهره، اذ لا يحصل ارغامه الا بامتثال امر الله سبحانه وتعالى، تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ للنفس فيه اهـ باختصار.

وفي كتاب (مشاهد الحج واسراره) عن الكاتب (حافظ بك عامر) في حكمة رمي الجمار قال: رمي الجمار هي حصيات تلتقط من الصحراء ويرمى بها الشيطان ممثلا في

عامود حجري مستطيل وذلك رمز دقيق تتمثل فيها النفس عداوتها للشر ورجمه وبراءتها منه ونبذه، ومجاهرتها بعداوتها له احساساً وعملا. وفي الرمي حكمة اخرى تتعلق بالجهاد والذي هو سر من اسرار الحج، وذلك ان اليد المؤمنة يجب ان تكون ممرنة على اساليب الجهاد التي اهمها واعظمها الرمي لاصابة الهدف، ومن هذا يقرر الفقهاء ان الرمية اذا اخطأت لم تحسب في العدد، ويجب اعادتها حتى تصيب هدفها فهذا الرمي تحقيق لوصف اليد الحربية اذ لا يمكن في الحج أكثر من الرموز لكل حقيقة من الحقائق الكبرى فلا يريد الاسلام يدا عاطلة، ولا يدا مخطئة، ولا يدا عاجزة، اهـ وفي احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام في شأن اعمال الحج واسراره يقول العلامة ابن دقيق العيد: «وفي ذلك من الحكم تذكر الوقائع الماضية للسلف الكرام. وفي تذكرها مصالح دينية اذ يتبين في اثناء كثير منها ماكانوا عليه من امتثال امر الله تعالى والمبادرة اليه وبذل النفس في ذلك، وبهذه النكتة يظهر لك أن كثيرا من الاعمال التي وقعت في الحج ويقال فيها انها تعبدية ليست كما قيل، الا ترى انا اذا فعلناها وتذكرنا اسبابها حصل لنا من ذلك تعظيم الاولين، وما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال امر الله فكان

هذا التذكر بامتثالنا على مثل ذلك، ومقرر في انفسنا تعظيم الاولين، وذلك معنى معقول مثاله: السعي بين الصفا والمروة، اذا فعلناه وتذكرنا ان سببه قصة هاجر مع ابنها وترك الخليل لهما في ذلك المكان الموحش منفردين منقطعي اسباب الحياة بالكلية مع ما اظهره الله تعالى لهما من الكرامة والآية في اخراج الماء لهما، كان في ذلك مصالح عظيمة، اي في التذكر لتلك الحال، وكذلك رمي الجمار اذا فعلناه وتذكرنا ان سببه رمي ابليس بالجمار في هذه المواضع عند ارادة الخليل ذبح ولده يحصل من ذلك مصالح عظيمة في النفع في الدين. اهـ.

وقال الامير الصنعاني في «العدة» على العمدة في شأن ما قيل ان أعمال الحج تعبدية غير معقولة المعنى، ما نصه: «يظهر» اي من النصوص الواردة في المناسك ان كثيرا من اعمال الحج التي أدُّعي انها تعبدية لا يعرف حكمها ليس كذلك بل بعضها او كثير منها يظهر وجه حكمته. اهـ.

والى قصة هاجر مع ابنها وترك الخليل لهما في ذلك المكان الموحش وما حصل من ذلك من الفوائد الجليلة والحكم البليغة، منذ ذلك العهد الى ان يرث الله الارض ومن عليها يشير صاحب العدة عند قول الشارح: «حصل

من ذلك مصالح عظيمة النفع في الدين ». « قائلا : أقول منها قوة ايمان ابراهيم عليه السلام وامتثاله لامر ربه بتركه الصبي وامه ، حيث أمره الله تعالى على تلك الحال التي لا يقوى عليها ليوث الرجال ، في ترك الحريم والاطفال ، ومنها قوة ايمان هاجر ووثوقها بالله ، انه حيث كان ذلك عن امره لا يضيعها ، وقوة شفقتها على الصبي لما لم تطق النظر اليه وهي تتأذى من العطش وصعود الصفا لتنظر هلى ترى احدا حسنَ ظنٍ بالله منها ، والا فهي تعلم كما قالت لابراهيم انه لا احد بالوادي الذي ليس به انيس ولا شيء ، ومنها سعيها كأنها تسعى في الطلب المأمول به للمعاش ثم الهمها الله ان تسعى سبعة ، لما لهذا العدد من السر العظيم ، الى ان قال: ومنها تصديق الله حسن ظنها حيث قالت: اذن لا يضيعنا فقال الملك بعد ذلك: « لا تخافي الضيعة » ومن ذلك قوة ايمان خليل الله تعالى من امتثاله قطعة قلبه وثمرة فؤاده شيء لا يطيقه البشر ، من حيث بشريته لولا ان ربط الرب على قلبه كما قال تعالى: (لولا أَنْ رَبَطْنَا على قَلَبها) وتوطينة نفسه على ذلك وإخراج ولده من « مكة » ليذبحه في « مِنىً » وَدَفعه الشيطان إِذْ تعرض له ليثبطه عن ذلك ، ومنها عظمة شأن الخليل عليه السلام عند ربه تعالى اذ فداه

بذبح عظيم وجعل هذه الامور مناسك وعبادات لعباده الى يوم الدين وفي (منسك) العلامة (خليل المالكي) يقول رحمه الله: وامرهم بالسير الى جمرة العقبة ورميها بسبع حصيات، اشعارا بالابعاد عن النار اذ الجمار مأخوذة من الجمر، وطردا للشيطان اذ سبب ذلك ما قيل ان الشيطان عرض لاسماعيل عليه السلام لما ذهب مع ابيه للذبح وقال: ان اباك يريد ان يذبحك، فأمره ابراهيم عليه السلام أن يرميه بسبع حصيات، فكأنه جل وعلا يقول: يا عبادي قد شَرَّفْتُكُم بدخول حرمي وَأَهَّلْتكُم لمناجاتي وادخلتكم في زمرة اوليائي، فابتدروا الجمرة بالحصى وابعدوا عن محل من عصى، فتلك الجمار فِكاكُ رقابكم من النار، قال الله العظيم في صفة النار: «وقودها الناسُ والحجارة» فانتم قد بعدتم عن النار فاجعلوا مكانكم الجمار ثم انقلبوا الى مِنىً فانحروا وكلوا واشربوا واشكروا فقد بلغتم المنى واستحققتم القرب اهـ.

وجاء في ارشاد الناسك لامين محمود خطاب قوله: رمي الجمار اظهار للرق والعبودية لرب البرية، وامتثال للاوامر الدينية واظهار الأسف على ما ارتكبه الانسان من الخطايا والتيقظ على المغري بها وهو الشيطان الذي يتمثله الانسان في موضع الجمرَات ويتخيل انه يغريه بالمعاصي وهو يزجره

ويطرده ولسان حاله يقول:

«اخسأ يا لعين فإني وإن أَطَعْتُكَ في الماضي فقد صَمَّمْت على عدم طاعتك في المستقبل فاذهب عني» اهـ.

صفوة القول فيما تقدم

هذا ولما كان مما تقدم من اقوال العلماء لا تعطي صورة واضحة، وبيانا شافيا من الحكمة في رمي الجمار بادرت بالسؤال من صاحب الفضيلة شيخنا واستاذنا الشيخ عبد لله بن محمد بن حميد فأجاب مشكورا حفظه الله ومتعنا بأيامه آمين بقوله: ان الحكمة في رمي الجمار وغيرها من المناسك - والله اعلم - انه لما كان من العبادات ما هي عبادة روحية وأهمها العقيدة والايمان وهو ما تضمنته شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله. ومنها ما هي بدنية وهي: ما شرعها الدين من الاعمال الظاهرة من صلاة وصيام، ومنها ما هي مالية بحتة كالزكاة والصدقات والنسك،ومنها ما هي متضمنة لجميع هذه العبادات الروحية والبدنية والمالية وتلك فريضة الحج لما لهذه العبادة العظيمة من المنافع والفوائد الدينية والدنيوية فان الله تعالى دعا اولياءه واتقياءه من عباده على لسان خليله ابراهيم

عليه السلام فقال تعالى: «وأَذِّنْ في الناس بالحجِّ يأْتُوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأْتينَ من كُلِّ فَجٍّ عميقٍ ليَشْهدوا منافع لهمُ ويَذْكُروا اسم الله في أيامٍ مَعْلومات على ما رَزَقَهُمْ من بَهِيمَةِ الأَنْعام» فلبي هذه الدعوة الجليلة من لبى من كل حَدْبٍ وصوب ليشهدوا هذه المنافع العظيمة والفوائد الجليلة ويذكروا اسم الله تعالى ويشكروه على ما رزقهم من نعمة الصحة والعافية والسعة وما يَسَّر لهم من نعمة الوصول الى هذه البقاع المقدسة يأتون شُعَثاً غُبْراً وقد نزعوا عن انفسهم جميع دواعي الترف والزينة، مقبلين على الله تعالى بالخشوع والتذلل، مرتدين اكفان الموتى وهذا لا شك في منتهى الخضوع والتذلل للواحد الاحد، ثم يقفون في هذه المشاعر العظيمة في موقف عرفات داعين ملبين ذاكرين بالسنتهم متوجهين الى الله تعالى بوجوههم وافئدتهم، ثم يفيضون الى مُزْدَلِفَة امتثالا لامر ربهم وخالقهم: (فاذا أَفَضْتُمْ من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) يتقربون الى الله تعالى بقضاء ليلتهم تلك بالطاعة والعبادة والذكر، وتلك اشارة بليغة بالالحاح في الدنيا ورجاء القبول، مستعملين في طاعته تعالى قلوبهم والسنتهم مُتْبعِينَ فيها ابدانهم، وارجلهم بالمشي والافاضة الى منى ليدركوا مناهم

لفداء اسماعيل عليه السلام، فهي ذكرى لآية من آيات الله وطاعة من طاعات عَبْدَيْه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فوق ما هو صدقة وقربى لله باطعام الفقراء اهـ وجاء في عون المعبود تكملة العذب المورود شرح سنن ابي داود للاستاذ امين محمود خطاب قوله:

وحكمة ذبح الهدى والفدية مع ما فيه من طاعة الله تعالى وامتثال امره، واظهار نعمته بتوسعة المسلمين على انفسهم وعلى المحتاجين في ايام العيد التي هي ضيافة الله للمؤمنين، وفيه تطهير للنفوس من دنس الشح وتذكير لنا بنزول الفداء لاسماعيل عليه السلام حين جاد بنفسه تصديقا لرؤية ابيه عليهما الصلاة والسلام، وبقيام سيدنا ابراهيم بما امر به بانه من يمتثل أمر ربه مع الاخلاص لا يصاب بأذى بل ينال كل خير وسعادة، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقه من حَيْث لا يَحْتَسِب) اهـ.

مما سبق من كلام العلماء والباحثين علمنا الحكمة من نحر الذبائح في يوم العيد وايام التشريق الثلاثة بمنى لانها ايام ضيافة الله تعالى لعبادة المؤمنين، وتذكر نعمة الله على خليله ابراهيم بفداء ولده اسماعيل من الذبح، كما هي اظهار لنعمة الله تعالى بتوسعة المسلمين على انفسهم

واخوانهم، وهذه نعمة عظمى ومنة كبرى على عباده المؤمنين يجب عليهم اداء مناسكهم على الوجه المطلوب شرعا والقيام ببحث عادل لحل مشكلة الذبائح التي تلقى في المنحر لا يستفيد منها سوى قلة من الحجاج، وهي مشكلة اثارها الكتاب قديما وحديثا فقد كتب الشيخ (الطنطاوي جوهري) في تفسير (الجواهر ج ١١ ص ٣١) بحثا طويلا حول الموضوع مظهرا استيائه الشديد للوضع المعروف، فقد ضرب مثلا لبعض الحلول لهذه المشكلة بقوله: فاذا اتفق علماء الاسلام على ان تجعل الذبائح في مِنىً في يد قوم عقلاء من أمم الاسلام وتصنع بصناعة لحفظ تلك الاجسام من التعفن ثم توزع على المحتاجين فيأكلونها فان هذا حل سهل، ان اقره العلماء ووافق مذاهبهم، انتهى المقصود من البحث؛ وقد ساهم كتابنا في الصحف المحلية وبعضهم برسائل مستقلة تحليلا لهذه المشكلة وللاسف الشديد لم تُجْدِ نفعا؛ كما وقد ساهم فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد فكتب في رسالته المسماة (ايضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره) بحثا مفيدا وحلا عادلا لهذه المشكلة يتفق والشريعة المطهرة والمصلحة العامة فقد قال حفظه الله (خاتمة) فيما ينبغي اتخاذه نحو لحوم الهدايا والاضاحي بمنى: لا شك ان عمل المسلمين

في ذبح هداياهم واختصاص مكان معين لنحرها طريقة غير مرضية لما في ذلك من ضياع هذه الحيوانات الكثيرة بدون انتفاع بها، فكان الواجب على المهدين من المسلمين ان يعتنوا بتلك الهدايا بايصالها الى مستحقيها لعموم قوله تعالى (فكُلوا منها وأَطْعِمُوا الْبائِسَ الفقير) وقال حفظه الله في قوله تعالى (واطعموا البائس الفقير) ما يدل على أن المهدين مأمورون باطعام البؤساء والفقراء اي منها، ولا يتحقق ذلك إلا بإيصاله لهم، وتسليمه لهم، او التخلية بينهم وبينها، فلو ذبحت الهدايا في مكان بعيد لا يستطيع الفقراء والمعوزون الوصول اليه تعين على المهدين نقله اليهم وتسليمه لهم، والقول بالوجوب هو قول الامام مالك والشافعي وكما ان المزّكي يلزمه ايصال الزكاة الى مستحقيها، وقد صرح اهل العلم بأن المزكين عليهم تسليم زكاة اموالهم الى مستحقيها حيث قالوا: وعلى المزّكي مؤنة دفع ونقل وكَيْلٍ ووَزْنٍ لان ذلك من تمام التوفية، ومثله الكفارات والنذور وغيرها، وصرفه للفقراء والمعوزين وذوي الحاجات فانه لا بد من دفعه اليهم وتسليمه لهم فمثله لحوم الهدايا والاضاحي كما تفيد آية: (واطعموا البائس الفقير) (واطعموا القانع والمعتر) وكما ان الحكومة يلزمها تهيئة

الوسائل وبذل الاسباب في ايصال ما يستحقه اليهم بانواع ما تراه مسهلا ايصاله لهم لانهم هم المستحقون لهذه الهدايا التي يتقرب بذبحها الى الله سبحانه وتعالى، وذلك بتعدد المجازر بمنى، وبأحياء مكة، فقد روى احمد وابو داوود وابن ماجة وغيرهم عن جابر رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحرت هاهنا ومنى كلها منحر وفجاج مكة طريق ومنحر)) فالحديث يدل على ان النحر لا يختص بمنى وان كان النحر به افضل ففي غيره من فجاج مكة وأحيائها جائز بل قد يكون في مثل هذا الوقت اولى من النحر في منى، مراعاة للفقراء وانتفاعهم بما ينحر عندهم، فاختصاص الذبح بمكان معين بمنى او غيره يتعذر وصول الكثير او الاكثر من ذوي الحاجات والمعوزين الوصول اليه لان فيهم الضعيف والمريض والمرأة ومن لا يستطيع الوصول الى موضع تلك اللحوم، فإيصالها اليهم بتعدد المجازر او نقل اللحوم الى امكنتهم هو المتعين على الْمُهْدين وعلى من يعنيهم الامر في الدولة، بهذا يحصل المقصود الذي لاجله شرع النسك من التقيد باراقة الدماء تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته، واحسانا الى الفقراء وذوي الحاجات من اطعامهم وانتفاعهم بلحوم تلك الهدايا

والله سبحانه وتعالى اعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم؛ اهـ بنصه حفظه الله.

من حكمة الحلق

صح عن رسول الهدى ﷺ انه قال: والحاج اشعث اغبر، كما جاء في الحديث القدسي: «عبادي أتوني شُعْثاً غُبْرا من كل فج عميق، اشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت لهم» وفي تفسير الخازن والبيضاوي عند قوله تعالى: (وَلْيَقْضُوا تَفَثَهُم) اي ليزيلوا ادرانهم واوساخهم، والمراد منه الخروج من الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظافر والاستحداد ولبس الثياب، والحاج اشعث اغبر اذا لم يُزل هذه الاوساخ، وقال في (الفتح) (ج ٢ ص ٤٥٠) في شرح حديث: «اللهم اغفر للمحلقين» وفيه: ان الحلق افضل من التقصير، ووجهه انه ابلغ في العبادة، ابين للخضوع والذلة وادل على صدق النية، والذي يقصر يبقى على نفسه شيئا مما يتزين به بخلاف الحالق فانه يشعر بانه ترك ذلك لله تعالى، وفيه الاشارة الى التجرد ومن ثم استحب العلماء القاء الشعور عند التوبة والله اعلم اهـ.

وقال في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري

للقسطلاني الحلق والتقصير عند الاحلال من الاحرام نسك لا استباحة محظور، للدعاء لفاعله بالرحمة والدعاء ثواب والثواب انما يكون على العبادات لا على المباحات ولتفضيله ايضا على التقصير، اذ المباحات لا تتفاضل ولا تحلل للحج والعمرة بدونه كسائر اركانه وقال الكاتب علي سالم عمار الشرقاوي في قصيدته (من وحي مشاهد الحج) في الحكمة من الحلق والتقصير:

والْحَلْقُ والتَّقْصيرإقصاءُ الذُّنوب جميعها
بعـــد التزام الْعَهْـــدِ الأَوْرادِ
وكذلـك اسْتئْصـالُ كُـلِّ رذيلـةٍ
وإزالـــــــة الأَهْواء بالإخْلادِ
والحلْق تَرْك رياسةٍ وزعامـــــة
إن جُزْتَ حَيَّاً أَوْ أَقَمْتَ بِنادي

كأنه يشير الى ان الحلق والتقصير بعد ذكر الله والانابة اليه تعالى، وبعد التزام العهود والمواثيق للعمل بما فيه رضى المولى وعدم التعرض لمخالفته ومناهيه، بعد ذلك كله يشير الحاج بانه وفى بالعهد بازالته تفثه من شعور وأَدْران كناية منه الى إبعاد الذنوب عنه واستئصال كل رذيلة، والابتعاد عن الاهواء الشخصية، من حب الرئاسة او الزعامة مُطَّرِحاً

آماله من الدنيا بهمة وعزيمة صادقتين، كما يشير الى ذلك العلامة (خليل المالكي) رحمه الله في (منسكه) بقوله: ثم امرهم بحلق رؤوسهم ليزول ما في الشعر من الدرن والعفن، وفيه اشارة الى نبذ المال لان الشعر يقي الدماغ من البرد، كما ان المال يقي الانسان من الفقر ولذلك قال: المعبرون: من رأى أن شعور رأسه قد ذهب فهو دليل على ذهاب ماله. اهـ

من حكمة طواف الافاضة

وفي الحكمة من لبس المخيط وطواف الافاضة يقول العلامة (خليل المالكي) رحمه الله في (منسكه): ثم امرهم بلباس المخيط واكمل لهم ما منعوا منه من النساء والطيب بعد طواف الافاضة، اشارة الى أن آخر التعب في الدنيا والنصب بالعبادة ان يدخلوا الجنة مستحلين ما حرم عليهم متلذذين بالطيب والزوجات، ثم امرهم بالرجوع الى مِنىً ليرموا الجمرات ويكبروا في سائر الاوقات مبالغة في الابعاد عن النار وتعظيم الملك الجبار، وفي ذلك اشارة الى التخلي عن الدنيا لان وقوفهم عند الجمرات، شبيه بوقوفهم في الموقف الذي في المحشر، والسؤال عند كل موقف، ولتعلم يا أخي أن تكثير اسباب المغفرة دليل على ان الله رحيم بهذه الأمة فإنه إذا أخطأ العبد سبباً من أسباب المغفرة لا

يخطىء سبباً آخر فنسأل الله العظيم ان يصلح قلوبنا ويحقق باليقين رجائنا وآمالنا وان يقدمنا عليه وهو راضٍ، ويطهر قلوبنا من الرعونات البشرية، فانه القادر على ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل. اهـ

من حكمة طواف الوداع

يقول في (حكمة التشريع): ان الحاج اذا أدى فريضة الحج وقضى مناسكه وعزم على الرجوع الى وطنه ،ودع البيت الحرام، كما تودع الوفود من وفدوا عليه عند رجوعهم الى اوطانهم، وفي هذا اعظام واكبار للبيت الحرام واظهار لمحبتهم له الى ان قال: وعلى هذا يكون الحاج قد بدأ حجه بالطواف بالبيت الحرام، وختمه به، لهذا ففي (البدائع) عن (ابي يوسف) انه قال: احب لي أن يطوف المكي طواف الصدر لانه وضع لختم افعال الحج، وهذا المعنى يوجد في أهل مكة علما بانه ليس عليهم طواف الوداع لإنه انما وجب توديعا للبيت ولهذا سُمِّي طواف الوداع اهـ.

زيارة المسجد النبوي الشريف

ان من لواحق الحج عادة زيارة المسجد النبوي الشريف

في المدينة المنورة اذ بهذه الزيارة مع اداء فريضة الحج يتم للحاج مشهد العقيدة الاسلامية في موطنها الاول بصورةٍ تاريخية مفصلة.

وزيارة المسجد النبوي مشروعةٌ وثابتةٌ بما رواه الامام البخاري وغيره عنه عليه الصلاة والسلام: (لا تُشَدُّ الرحال إلاّ الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى).

وذلك لفضل هذه المساجد ومَزِيَّتها على غيرها لكونها مساجد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

فالمسجد الحرام قبلة الناس، واليه حجهم، ولأن الصلاة فيه بمائة الف صلاة فيما سواه من المساجد.

ومسجد الرسول صلوات الله عليه خصه الله تعالى بهذه المزية اكراما له ﷺ فانه افضل الخلق على الاطلاق، ولان الصلاة فيه بالف صلاة فيما سواه من المساجد.

والمسجد الاقصى كان مسجد الانبياء وأول القبلتين، ولأن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة.

الزيارة النبوية

زيارة الرسول ﷺ مشروعة ومستحبة لمن حضره في

من حكمة زيارة القبور

ومقصود الزيارة واضح من الحديث النبوي الشريف وهي العظة والعبرة والتذكرة بالموت ومصير الانسان فيستعد لآخرته فيتجافى الغرور بالحياة ولذاتها ومطامعها والله اعلم.

من حكمة تنوع الطاعات

نَوَّع الشارع الحكيم في العبادات والطاعات لئلا يفلت الانسان من رحمة الله، والانابة اليه، وليفوز بمغفرته ومرضاته، فتكرار الطاعة في اليوم الواحد مثل المكتوبة كالغذاء اليومي ليطهر النفس ويهذبها، فطاعة في كل اسبوع كصلاة الجمعة وطاعة في العام شهرا كالصوم. وطاعة بين ذلك كالزكاة، وطاعة ولو في العمر مرة واحدة كالحج والعمرة.

كل ذلك من اجل المسلم، ليعمل بقدر ما استطاع فينال المغفرة ويصلح ما فات

فهذه الفرائض وغيرها من العبادات والطاعات اختبار، امتحن الله بها عباده ليستبين المطيع من العاصي كما قال تعالى: (لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَملا).

أو لان هذه العبادات والطاعات لما كانت متضمنة

شكر الله تعالى على نعمه التي لا تحصى نَوَّعها الشارع الحكيم لتتناسب مقام شكر بعض هذه النعم، اذ غير ممكن للمرء شكر نعم الله تعالى كلها كما قال تعالى:

(وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوها) رزقنا المولى شكر نعمه ووقانا شر نِقَمِهِ ووفقنا لا تباع شرعه المطهر، آمين. وصلى الله على خير خلقه وامينه على وحيه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا مما منَّ الله عليَّ به ويَسَّره مما التقطته من كتب العلماء الاعلام من سلفنا الصالح المتعلقة باسرار التشريع الاسلامي حسب فهمي القاصر فالله حسبي وعليه اعتمادي في مبدئي ومعادى وآخر دعوانا:

«ان الحمد لله رب العالمين» وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واتباعه الى يوم الدين.

وكان ذلك بتاريخ ١ - رجب المحرم عام ١٣٨٧ هـ المصادف اكتوبر (تشرين - ١) ١٩٦٧ م بمكة المكرمة.

بقلم جامعة العبد الضعيف الى مولاه اللطيف الهادي
حامد بن محمد بن عبد الله العبَّادي
احد المراقبين بالمسجد الحرام
والمدرس بمعهد الحرم المكي بالمسجد الحرام

فهرست كتاب: من حكم الشريعة وأسرارها

الموضوع صفحة

مقدمة الطبعة الثانية ٥
تقريظ سماحة الشيخ عبدالله بن حميد ٧
تقديم سمو الشيخ عبدالله الانصاري ٩
الافتتاح ١١
الدين الاسلامي ١٥
مراتبه ١٦
المرتبة الاولى ١٧
الركن الأول ١٨
معنى الشهادتين ١٩
الركن الثاني ٢٢
من شروط الصلاة ٢٢
من حكمة الطهارة بالتراب ٢٦
من حكمة كون التيمم في عضوين ٢٨
من حكمة كون تيمم الجنب كتيمم المحدث ٢٨
من حكمة غسل الأعضاء المخصوصة في الوضوء ٢٩
من حكمة غسل الكفين ٣٠
من حكمة المضمضة ٣٠

الموضوع	صفحة

من حكمة الاستنشاق ٣١
من حكمة غسل الوجه ٣١
غسل اليدين الى المرفقين ٣٢
مسح جميع الرأس ٣٢
مسح الاذنين ٣٣
غسل الرجلين إلى الكعبين ٣٣
من حكمة المسح على الخفين والجوربين ٤٠
من حكمة نواقض الوضوء ٤١
من حكمة خروج الريح ٤١
من حكمة لمس المرأة ٤٢
من حكمة نقض الوضوء بأكل لحم الجزور ٤٤
من حكمة موجبات الغسل ٤٨
من حكمة الغسل من الحيض ٥٢
من حكمة الغسل من النفاس ٥٢
من حكمة الغسل من تغسيل الميت ٥٣
الصلاة ٥٤
استقبال القبلة ٥٦
من حكمة الاخلاص والخشوع في الصلاة ٥٨
من حكمة مشروعية الأذان ٥٩
من حكمة اوقات الصلاة ٦١
وقت الصبح ٦٢
وقت الظهر ٦٤
وقت العصر ٦٥
وقت المغرب ٦٥

الموضوع	صفحة

وقت العشاء ٦٥
من حكمة مشروعية صلاة الجماعة ٦٦
من حكمة هيئة الصلاة ٦٨
من حكمة القيام ٦٨
الضم ٦٨
من حكمة تنكيرة الاحرام ٦٩
من حكمة البسملة ٧٠
من حكمة قراءة الفاتحة ٧٠
من حكمة الركوع ٧١
من حكمة الرفع منه ٧١
من حكمة السجود ٧٢
من حكمة تكرير السجود ٧٣
من حكمة الاعتدال من السجود ٧٤
من حكمة الجلوس للتشهد ٧٤
من حكمة التشهد ٧٥
من حكمة السلام عليه صلوات وسلامه عليه ٧٥
من حكمة الصلاة عليه وآلة عليه السلام ٧٦
الدعاء في الصلاة ٧٧
من حكمة السلام منها ٧٧
من حكمة الجهر والاسرار في الصلاة ٧٨
من حكمة صلاة النافلة ٨٠
من حكمة صلاة التراويح ٨٢
من حكمة صلاة الضحى ٨٣
سجود الشكر ٨٤

الموضوع	صفحة

سجود التلاوة ٨٥
من حكمة قصر الصلاة للمسافر ٨٦
صلاة المريض ٨٧
النهي عن صلاة النافلة في بعض الأوقات ٨٨
من حكمة صلاة الجمعة ٨٩
من حكمة صلاة العيدين ٩١
من حكمة الخطبة فيها ٩٣
مشروعية التكبير للعيدين ٩٣
من حكمة مشروعية الجمعة والجماعة والعيدين والحج ٩٥
من حكمة صلاة الاستسقاء ٩٦
من حكمة صلاة الكسوف والخسوف ٩٨
تجهيز الميت ١٠٨
من حكمة غسله ١٠٩
من حكمة تكفينه ١٠٩
من حكمة حمل الجنازه ١١٠
من حكمة دفن الميت ١١١
من حكمة التعزيه ١١١
صيغة التعزية ١١٢
كتاب الزكاة ١١٥
تعريف الزكاة ١١٥
من حكمة وجوبها في الأجناس الأربعة ١٢٠
من حكمة مقادير زكاة بهيمة الأنعام ١٢١
من حكمة مقادير زكاة الزروع والثمار ١٢٢
من حكمة مقادير زكاة الذهب والفضة ١٢٣

الموضوع	صفحة

من حكمة مقادير زكاة عروض التجارة ١٢٤
من حكمة مقادير زكاة الركاز والمعادن ١٢٥
من حكمة فرضية الزكاة في نوع دون نوع ١٢٦
من حكمة اسقاط الزكاة في الخيل والبغال والحمير ١٢٨
من حكمة صرف الزكاة لمستحقيها ١٢٩
خلاصة الكلام في حكمة الزكاة ١٣٢
من حكمة تحريم الصدقة على النبي وأهل بيته ١٣٦
من حكمة زكاة الفطر ١٣٧
من أسرار الصوم ١٣٩
من حكمة الصوم ١٤٦
من آداب الصيام ١٤٧
من حكمة صوم التطوع ١٤٩
من حكمة جواز الفطر في السفر ١٥١
من حكمة تحريم الصوم في يومي العيدين ١٥٢
من حكمة صوم شهر مخصوص وكونه رمضان ١٥٤
من حكمة كون هذه العبادة في النهار ١٦٥
ما يفسد الصوم ١٦٥
ما لا يفطر به الصائم ١٦٧
من حكمة إيجاب الصوم مع الحائض دون الصلاة ١٦٩
فائده ١٧٠
ليلة القدر ١٧١
من أسرار الحج ١٧٣
من حكمة لبس ثياب الاحرام ١٧٨
من حكمة التلبيه ١٨٣

صفحة

الموضوع

من حكمة استلام الحجر الأسود ١٨٥
دخول مكه وطواف القدوم ١٨٧
من حكمة الطواف بالبيت الحرام ١٨٨
من حكمة الرمل في الطواف والسعي ١٩٢
من حكمة ركعتي الطواف خلق المقام ١٩٤
بئر زمزم ١٩٦
تاريخه ١٩٦
مشروعية الشرب منه ١٩٧
من حكمة الشرب منه ١٩٧
من حكمة السعي بين الصفا والمروة ٢٠٠
من حكمة الوقوف بعرفات ٢٠٨
من حكمة الإفاضة إلى مزدلفة ٢١٢
من حكمة الإقامة بمنى أيام التشريعه ٢١٣
من حكمة رمي الجمار ٢١٥
صفوة القول فيما تقدم ٢٢٢
من حكمة ذبح الهدي ٢٢٤
من حكمة الحق ٢٣٠
من حكمة طواف الإفاضة ٢٣٢
من حكمة طواف الوداع ٢٣٣
زيارة المسجد النبوي الشريف ٢٣٣
الزيارة النبوية ٢٣٤
من حكمة زيارة القبور ٢٣٦
من حكمة تنوع الطاعات ٢٣٦

تم بحمده تعالى